ضياع بنى أمية فى عصر الخلافة

٤١هـ - ١٣٢هـ / ٦٦١م - ٧٥٠م

دكتورة

صفاء حافظ عبد الفتاح

كلية آداب بنها

١٩٩١

المقدمة

كان تملك الأرض الزراعية فى العصر الأموى يعد استثماراً يعود بالربح الكبير على صاحبه ، ولما كان الأمويون يهتمون بتنمية مواردهم الاقتصادية وثرواتهم الخاصة ؛ فقد أقبلوا على تكوين الضياع وتملكها، وأدى ذلك إلى ظهور مايعرف « بضياع بنى أمية».

وقد شمل هذا التعبير إلى جانب الضياع مايمتلكه الأمويون من ممتلكات أخرى تغل أرباحاً ، كالدور والحوانيت والقياسر والطواحين وغيرها . وكان للأمويين وسائلهم التى تملكوا عن طريقها هذه الضياع، كما كان لهم وسائلهم أيضا فى تنميتها وإدارتها.

وقد تناولت فى هذه الدراسة الأصناف التى انقسمت إليها الأرض الزراعية فى عهد الخلفاء الراشدين ، ثم تحدثت عن الوسائل التى اتبعها الأمويون فى تكوين الضياع والتى استغلوا فى معظمها أصناف الأرض السابقة ، والتى كان من أهمها أرض الصوافى . ثم تحدثت عن العلاقة المتبادلة التى ربطت بين تكوين الضياع الأموية وإنتشار العمران المدنى فى عهدهم ، ثم ختمت البحث بالحديث عن كيفية إدارة هذه الضياع .

والله المستعان .

القاهرة فى أكتوبر ١٩٩١م

د. صفاء حافظ عبدالفتاح

الأراضى الزراعية قبل العهد الأموي :

كانــت البلاد التى فتحها المســلمون - وتكونت منها دولــة الخلافة - فى معظمها بلاداً زراعية ، وقد اختلفت أحكام ملكية الأراضى الزراعية فى هذه البلاد باختلاف طريقة الفتح ، فما فتح منها عنوة كانت ملكيته تختلف عما فتح منها صلحاً، وقد اهتم الفقهاء المسلمون بتصنيف الأراضى الزراعية ، لما يترتب على ذلك من اختلاف فى الضريبة المفروضة عليها ، فصنفت هذه الأراضى على النحو التالى :

(أ) أرض يدفع عنها أصحابها ضريبة الخراج(١): وتتكون من الأراضى التى امتلكها المسـلمون عنـوة ولم تقسم بينهم، وأوقفت على

---

(١) الخراج : مقدار معين من المال يفرض على الأرض الزراعية ، ويجبى نقداً أو عيناً من المحصول الناتج من الأرض ، وفرض الخراج فى بداية الأمر تبعا للمساحة المزروعة ، ثم عدلت الجباية ، فى عهد الخليفة العباسى المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/٧٥٥-٧٨٥م) فأصبح الخراج يجبى بنظام المقاسمة على المحصول ، ويحصل عيناً ، ولما ضعفت الدولة العباسية ساد نظام الإقطاع فى جباية الخراج . انظر ، أبو يوسف ، الخراج ، ضمن كتاب موسوعة الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٥٠- ٥٨ ، الماوردى، الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٧٨م، ص١٥٢ - ١٧٢ - ١٧٦ ، الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٥٦ ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٩٥ ، ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١١٧ ، ١٢٥ .

مصالح الأمة ، وكذلك الأراضى التى فتحها المسلمون صلحاً بدون قتال وتركت فى أيدى أهلها من غير المسلمين(٢).

(ب) أراضى يدفع عنها ضريبة العشر(٣): وهى الأراضى التى أسلم عليها أربابها بدون قتال ، والأراضى التى أمتلكها المسلمون عنوة وجرى تقسيمها بينهم ، والأراضى التى استأنف المسلمون إحياءها ، والأراضى التى بقيت فى أيدى أهلها من غير المسلمين مقابل دفع الخراج ، إذا ماباعوها للمسلمين سقط عنها الخراج وأصبحت أرضا عشرية وكانت أرض العشر تعتبر ملكية خاصة ، يتصرف فيها صاحبها بالبيع والشراء(٤).

---

(٢) عن أصناف الأرض الخراجية . انظر ، أبو عبيد ، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس ، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١ ، ص ٥٧، الماوردى، المصدر السابق، ص١٤٧، الحنبلى، الاستخراج لأحكام الخراج، ضمن كتاب موسوعة الخراج، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٩، ص٤٠-٤٦.

(٣) كان صاحب الأرض العشرية يدفع عنها عشر المحصول إذا زاد كيلة عن خمسة أوسق أو مائتى درهم إذا كانت سهلة الرى ، ويدفع نصف العشر فى حالة صعوبة الرى ، هذا العشر أو نصفه الذى كان يدفع عن هذه الأرض كان فى حكم الزكاة باعتبار أن محصول هذه الأرض يكون من الأموال الخاصة التى يتولى جبايتها عامل الصدقات ليتولى انفاقها فى الوجوه المخصصة لمصارف الصدقات . انظر ، أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٤٢١ - ٤٣١ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١١٨ - ١١٩ ، ١٤٧ .

(٤) عن أصناف أرض العشر . انظر ، أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص٦٩ ، أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ١١ - ١٢ .

(جـ) أما الصنف الثالث من الأراضى ، فهى أرض الصوافى(٥) ، ويعرف الماوردى(٦) صوافى الأرض فيقول : « ما أصطفاه الإمام لبيت المال من فتوح البلاد ، إما بحق الخمس(٧) فيأخذه باستحقاق أهله له ، وأما بأن يصطفيه بإستطابة نفوس الغانمين عنه » .

وقد سميت هذه الأراضى « بالصوافى » لأن الخليفة عمر بن الخطاب أستصفاها ، أى جعلها خالصة لبيت المال ، وسميت أيضا « بالقطائع »(٨) لأنها أقطعت فيما بعد لمن يتعهدونها ، وسميت

---

(٥) الصوافى : هى ما يستصفيه الإمام من الغنيمة قبل القسمة ، ويرجع أصلها إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان له صفى من كل مغنم ، عبد أو أمة . انظر . أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٦) الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٧) الخمس : هو الخمس الذى كان يؤخذ من أموال الفيء التى تصل للمسلمين ليقسم بين أهله بنص القرآن إلى خمسة أسهم : سهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وسهم لأقربائه ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل . انظر . سورة الحشر آية (٧) ، الماوردى ، المصدر السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٨) الإقطاع هو : « أن يقطع السلطان أرضا ، فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع ، واحدتها قطعية » ، والإقطاع نوعان :

النوع الأول : إقطاع تمليك : ويكون لصاحبه حق التصرف فيه بالبيع ، والايجار ، والتوريث ، وكان يمنح من الأرض التى ليس لها ملاك .

النوع الثانى: إقطاع استغلال : وليس لصاحبه حق التصرف فيه إلا حق

كذلك « صوافى الأثمار »(٩) .

وتكونت أرض الصوافى من الأراضى التى لم يكن لها ملاك عند الفتح ، وقد وجد المسلمون عدة أنواع من هذه الأراضى فى الأقاليم التى كانت تتكون منها الدولة الفارسية فى بلاد فارس والعراق ، فكان منها : الأراضى التى كان يمتلكها كسرى وأهل بيته وكبار رجال دولته، والأراضى التى قتل ملاكها فى الحرب أو هربوا، والأراضى التى تكونت بعد أن غاضت المياه عنها على ضفاف الأنهار، والأراضى

استغلاله فقط ، ويعود للدولة مرة أخرى بعد انتهاء مدة إقطاعه ، وكان غالبا يمنح بدلا من الأرزاق ، ومن أمثلته ما منح للجند عندما ضعفت الدولة العباسية وعجزت عن جمع الخراج ، وكذلك ما كان يمنح للوزراء فى العصر العباسى الثانى بدلا من أرزاقهم . انظر ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص١٩٠–١٩٨، الخوارزمى ، المصدر السابق ، ص٤٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩م ، حـ ٤ ص ٢٧٦ ، الصابىء ، تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار فرج ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٨م ص ٢٩، ٢٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٧٨ ، السيد الباز العرينى ، الإقطاع فى الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، حوليات كلية آداب عين شمس المجلد الرابع ، يناير ١٩٥٧م ، ص ١١٩ – ١٢٣ .

(٩) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، البلاذرى ، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٣٤ .

التى كانت موقوفة على بيوت النار ، والأراضى التى كانت لسكك البريد(١٠).

أما فى الأقاليم التى فتحها المسلمون وكانت تابعة لدولة الروم كبلاد الشام ومصر ، فقد تكونت أرض الصوافى من الأراضى التى كان يمتلكها الامبراطور البيزنطى ، وكبار الموظفين ، وقواد الجيش ، ورجال الدين ، الذين فروا إلى بلاد الروم بعد هزيمتهم أمام جيوش المسلمين(١١).

---

(١٠) عن أنواع أرض الصوافى فى الدولة الفارسية . انظر ، أبو يوسف، المصدر السابق ، ص٥٧–٥٨ ، يحيى بن آدم ، الخراج ، ضمن كتاب موسوعة الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م، ص٦٤، البلاذرى، المصدر السابق ، ص٣٣٤–٣٣٥ ، الحنبلى، المصدر السابق، ص١٠٤ ، المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة الحلبى، القاهرة، جـ ١ ص ٩٦ – ٩٧ .

(١١) يذكر ابن عساكر أن من أرض الصوافى ببلاد الشام : الأرض المسماه « أندركيسان » بدمشق ، و « قبيس » بالبلقاء ، و « جيعانا » بحمص ، والمنازل والدور بدمشق . انظر ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير، تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت جـ ١ ص ١٨٣–١٨٤ . ويذكر ابن عبد الحكم أن الأراضى التى آلت للدولة الإسلامية فى مصر كانت فى الأصل ملكا لكبار الملاك من غير المصريين الذين هربوا أثناء الفتح ، وكذلك أرض الرهبان ممن لا وراث لهم ، وكانت أيضا الدور والمنازل التى هجرها أصحابها عند دخول العرب مصر . انظر ، ابن عبد الحكم ، =

كانت سياسة الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) هى عدم السماح للعرب بامتلاك أو زراعة الأرض خارج الجزيرة العربية ، حتى لا ينشغل العرب عن رسالتهم الأساسية - وهى الجهاد فى سبيل الله - بالأعمال الزراعية وما يترتب على ذلك من حب الاستقرار بجانب الأرض (١٢)، وانعكست هذه السياسة على موقف عمر ابن الخطاب من أرض الصوافى التى آلت للدولة أثناء الفتوحات فى عهده، فلم يقطعها(١٣)، واستثمرها لصالح بيت المال،

فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، دار التعاون ، القاهرة، ص٦٨، ٩٢ . وانظر ، سيدة كاشف، مصر فى فجر الإسلام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٤٨ .

Fateh, `` Taxation in persia `` Bulletin of the school of oriental studies, London Institution, Vol. IV, 1926 - 1928, P736.

(١٢) عن نهى الخليفة عمر بن الخطاب الجند العرب عن الزرع . انظر، ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص١١١ ، المقريزى، المصدر السابق، حـ٢ ، ص٢٥٩ ، فهلوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، نشر وزارة الثقافة ، القاهرة ، ص٢٨-٢٩ .

(١٣) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، الماوردى ، المصدر السابق، ص ١٩٣ ، يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص ٦٤ ، وخالف أبو يوسف ، المصدر السابق ، ٥٨ فذكر أن عمر كان يقطع هذه الأرض ، ولكنه لم يذكر أمثلة لهذه الإقطاعات .

وصرف غلتها - التى تعددت الأقوال فى مقدارها - (١٤) فى مصالح المسلمين ، ولم يعرف عن الخليفة عمر أنه أقطع أحداً إلا الاقطاع الذى منحه فى مصر لابن سندر (١٥) عملا بوصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا الاستثناء فى الحقيقة يثبت عدم قيام الخليفة عمر بإقطاع أرض الصوافى عامة .

أما الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م) فقد

(١٤) ذكر أبو يوسف ويحيى بن آدم أن مقدار غلة أرض الصوافى كانت أربعة آلاف ألف ، واتفق كل من البلاذرى والحنبلى ، أن الغلة بلغت سبعة آلاف ألف ، وذكر كل من الماوردى والمقريزى أن مقدارها كان تسعة آلاف ألف درهم. انظر ، أبو يوسف المصدر السابق ، ص٥٧ ، البلاذرى ، المصدر السابق ، ٣٣٤ - ٣٣٥ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص١٩٣ ، يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص٦٤ ، الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٦ .

(١٥) كان ابن سندر غلاما لزنباع الجذامى ، غضب عليه لأمر سيء رآه عليه فجدع أنفه وأذنيه ، فذهب ابن سندر للرسول (صلى الله عليه وسلم) وشكى إليه زنباع ، فاعتقه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأوصى الرسول (صلى الله عليه وسلم) المسلمين بأمر العبيد وخص ابن سندر بقوله له : « أوصى بك كل مسلم » ، فعاله أبو بكر ، فلما توفى أبو بكر طلب ابن سندر من الخليفة عمر بن الخطاب أن يوصى به فى مصر لرغبته فى الإقامة بها فأقطعه ألف فدان بمصر ، وعاش ابن سندر منها. انظر ، ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص٩٦-٩٧ ، المقريزى، المصدر السابق ، ط ح ٩٦ .

اختلفت سياسته تجاه أرض الصوافى عن سياسة الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد رأى أن إقطاع هذه الأرض لمن يعمرها ويقوم بخراجها أوفر لغلتها من تعطيلها ، فقام بإقطاعها وشرط على من أقطعه إياها أن يأخذ منه حق الفيء(١٦) ، فكان ذلك إقطاع إجارة، لا إقطاع تمليك، ونتج عن ذلك أن ازدادت غلتها حتى بلغت على ماقيل خمسين ألف ألف درهم ، فكان منها صلاته وعطاياه(١٧) .

وعلى الرغم من اختلاف موقف كل من الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان من أرض الصوافى،بأن امتنع الأول عن إقطاعها واستغلها لصالح المسلمين، وقام الثانى بإقطاعها لمن استغلها ودفع الخمس من غلتها، وعلى الرغم من عدم رضى البعض عن سياسة عثمان فى تغييرسنة عمرو إقطاع أرض الصوافيلمن أقطعهم إياها(١٨)

---

(١٦) الفيء : هو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ، ولا بايجاف خيل ولا ركاب ، وهو يختلف عن الغنيمة لأن الغنيمة تؤخذ قهراً وحق الفيء هو الخمس الذى نص القرآن على مصرفه فى قوله تعالى : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) . انظر ، سورة الحشر، آية (٧)، أبو عبيد، المصدر السابق ، ص ٢٠-٢٢ ، الماوردى، المصدر السابق ص١٢٦- ١٢٧ .

(١٧) الماوردى، المصدر السابق، ص١٩٢ ، الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

(١٨) الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ ، ١٧٠-١٧١ ، ١٩٢ ، ضياء الدين الريس ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ ، السيد الباز العرينى ، الأقطاع فى الشرق الأوسط ، ص ١٢٠ .

إلا أن الخليفة على بن أبى طالب (٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٠-٦٦١م) لم يغير من وضع أرض الصوافى التى أقطعها عثمان من قبله(١٩) ، وبقيت هذه الأرض فى أيدى من أقطعت لهم مسجلة باسمائهم فى الدواوين حتى العهد الأموى(٢٠).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لم يعرف عن الخلفاء الراشدين أنهم استولوا على أية مساحة من أرض الصوافى لأنفسهم أو أنهم امتلكوا منها شيئا باسم الخلافة ، بل كانت سواء فى حالة إقطاعها أو عدم إقطاعها أرضاً تمتلكها الأمة الإسلامية ، وتنفق غلتها فى مصالح المسلمين .

الوسائل التى اتبعها الأمويون فى تملك الضياع :

لما استولى الأمويون على الخلافة وأستتب لهم أمرها فى سنة (٤١هـ/٦٦١م) ، عملوا على تنمية الموارد الاقتصادية الخاصة بهم ، حتى يتسنى لهم القيام بالأمر ، وكانت حاجة الأمويين ماسة إلى إستمالة القلوب بالمنح والعطايا ، هذا بالاضافة إلى ما يتطلبه منصب الخلافة من نفقات إذ تحول هذا المنصب فى عهدهم إلى منصب تحيط به الأبهة والعظمة، ووجد الأمويون أن سبيلهم إلى ذلك هو

---

(١٩) يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص ٧٩ ، الحنبلى ، المصدر السابق ص ١٠٤ ، المقريزى ، المصدر السابق ، حـ ١ ص ٩٦ .

(٢٠) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، البلاذرى ، المصدر السابق ص ٣٣٤ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ ، المقريزى ، المصدر السابق، حـ ١ ص ٩٦ .

تملك الأرض الزراعية ، فالأرض الزراعية استثمار جيد يدر دخلها عائداً مادياً عظيماً إذا ما أحسن استغلالها ، فكان أن عمل الأمويون الخلفاء منهم والأمراء على امتلاك الضياع(٢١) الكبيرة فى أماكن متعددة من أقاليم الدولة ، وظهر منذ عهدهم اصطلاح « ضياع بنى أمية » و « ضياع الخلافة »(٢٢) ، ليعنى الضياع التى يمتلكها الخلفاء الأمويون وذويهم ويتوارثونها . وكان للأمويين وسائلهم التى امتلكوا عن طريقها الضياع سالفة الذكر خلال فترات الاستقرار من حكمهم ، فلما ضعفت الدولة واجتاحتها الفتن والحروب انصرف الخلفاء عن هذا الأمر .

الاقطاعات :

كانت أولى الوسائل التى اتبعها الأمويون لتملك الضياع هى الاقطاعات التى كان يقطعها الخليفة الأموى القائم بالحكم لأهل بيته من أرض الصوافى العامرة أى الصالحة للزراعة ، وفى الواقع امتلك الأمويون الإقطاعات من أرض الصوافى قبل توليتهم الخلافة ، منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان الذى أقطع الكثير من أرض الصوافى - كما ذكرنا - وفاز الأمويون من هذه الإقطاعات بنصيب كبير وكان

---

(٢١) الضياع : جمع ضيعة ، وضيع ، ومن معانيها العقار ، والمنازل ، والأرض المغلة ، ومعنى الضيعة عند الحضر مال الرجل من النخل والكرم والأرض ، أما عند العرب فمعناها الحرفة والصناعة والتجارة . انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، جـ٤ ص٢٦٢٤ .

(٢٢) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ٢٨٢ ، ٤٠٥ .

ذلك مما أخذ عليه(٢٣) ، فأقطع مروان بن الحكم(٢٤) موضع سوق يقال له مهروز(٢٥) بالمدينة المنورة(٢٦) وأقطع عثمان بن أبى العاص بالبصرة الأرض التى تعرف بشط عثمان(٢٧)، وأقطع معاوية

(٢٣) الماوردى ، المرجع السابق ، ص١٢٩ ، ١٧٠-١٧١ ، ١٩٢، السيد الباز العرينى ، الاقطاع فى الشرق الأوسط ، ص ١٢٠ .

(٢٤) مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى ، كان من المقربين للخليفة عثمان بن عفان وتولى الكتابة له ، وبسببه حاصر الثوار دار عثمان بالمدينة أثناء الفتنة ، وولاه معاوية بن أبى سفيان ولاية المدينة مرتين فى سنة (٤٢-٤٩هـ) ثم فى سنة (٥٦-٥٧هـ) ، وتولى الخلافة فى سنة(٦٤-٦٥هـ)، ومن نسله كان الخلفاء الأمويون الذين عرفوا بالمراوانيين ، وهو موثق عند أهل الحديث ويعدوه من الفقهاء . انظر ، الزبيرى ، نسب قريش ، تحقيق إ. ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة، ص١١٠ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، ١٨٧ ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٨٧ ، ابن طباطبا ، الفخرى فى الآداب السلطانية ، دار صادر، بيروت، ص ١٠٣-١٠٤ ،ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، حـ٨ ص ٢٧٧-٢٨١ .

(٢٥) مهروز : اسم واد بعالية المدينة ، كان يسيل بماء المطر ، وقد سال المطر به سنة (١٥٦هـ/٧٧٢م) حتى كاد يغرق المدينة ، ومن المرجح أن موضع السوق كان به . انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، حـ٥ ص٢٣٤ ، الفيروزبادى ، المغانم المطابة فى معالم طابة ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٦٩م، ص ٣٩٨ .

(٢٦) الماوردى : المصدر السابق ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٢٧) أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

بن أبى سفيان أثناء ولايته له على بلادالشام (١٧-٤١هـ/٦٣٨-٦٦١م)(٢٨) أرض الصوافى التى كانت ببلاد الشام ، فقد كتب إليه معاوية كتاباً يشكو فيه قله الرزق الذى يجرى عليه ، وأنه لايفى بما يتطلبه منصبه من نفقات ، فهو كوال لبلاد الشام يقابل وفود الولايات الأخرى ورسل الولاة ، ويقابل أيضا رسل الروم ووفودهم ، وسأل الخليفة أن يمنحه أرض الصوافى الموجودة بالشام إقطاعا يستعين بدخله على احتياجات منصبه ، ووصف للخليفة هذه الأرض ، وسماها له ، وذكر له أنها ليست ملكا لأحد من أهل الذمة، وليست من أرض الخراج ، فوافق الخليفة عثمان بن عفان على إقطاعه هذه الأرض ، وكتب له كتاباً بها ، وظلت تلك الصوافى بيد معاوية على حالها طوال ولايته لبلاد الشام(٢٩).

---

(٢٨) معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكتاب الوحى ، شارك فى فتوحات الشام ، وتولى ولاية الشام بعد وفاة أخيه يزيد فى سنة (١٧هـ/٦٣٨م) فى عهد عمر بن الخطاب ثم فى عهد عثمان بن عفان ، ولما قتل عثمان بايعه أهل الشام بالخلافة والمطالبة بدم عثمان وأشتبك مع على بن أبى طالب فى صراع طويل وولى الخلافة فى سنة (٤١هـ/٦٦١م) بعد مقتل على بن أبى طالب وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية . انظر ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، دار الكتاب العربى بيروت ، ١٩٨٠م ، جـ٢ ص ٢٧٤ ، جـ٣ ص ١٤١ ، ٢٠٢-٢٠٣ ، المسعودى ، مروج الذهب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، جـ٢ ص ٨-١١ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص١٠٢-١٠٤ .

(٢٩) ابن عساكر ، المصدر السابق ، جـ١ ص ١٨٤ .

ولما تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م) قام بعمل مسح شامل لأرض الصوافى بالدولة، وقام بالاستيلاء على الكثير منها ، وحاز منها لنفسه ، وأقطع أهل بيته، وفى ذلك يقول اليعقوبى(٣٠) « أخرج معاوية من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة ، وجعله صافيا لنفسه، فأقطعه جماعة من أهل بيته » ، ثم يقول اليعقوبى(٣١) أيضا : « وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل مافعل بالعراق من استصفاء ماكان للملوك من الضياع وتصيرها لنفسه خالصة ، وأقطعها أهل بيته وخاصته ، وكان أول من كانت له الصوافى فى جميع الدنيا حتى بمكة والمدينة ، فإنه كان فيهما شىء يحمل فى كل سنة من أوساق التمر والحنطة » .

ومنح معاوية الإقطاعات لأهل بيته ، فوزع عليهم الكثير من صوافى الشام مما كان بيده منذ عهد عثمان بن عفان(٣٢)، كما أقطعهم فى أرض الجزيرة(٣٣) اقطاعات(٣٤)، كما منحهم الإقطاعات فى

---

(٣٠) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، حـ٢ ص ٢٣٣ .

(٣١) اليعقوبى ، نفسه ، حـ٢ ص ٢٣٤ .

(٣٢) ابن عساكر ، المصدر السابق ، حـ١ ص ١٨٤ .

(٣٣) الجزيرة : اصطلاح يطلق على الأراضى الممتدة بين نهرى دجلة والفرات وفيها ديار مضر ، وديار بكر ، وأرض الجزيرة اليوم يقع قسم منها فى سوريا ، وقسم فى العراق ، وقسم فى تركيا . انظر . البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٧٠٦ ، ياقوت ، المصدر السابق ، حـ٢ ص١٣٤ .

(٣٤) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .

مصر، ويروى ابن عبد الحكم(٣٥) أن معاوية منح ابنه يزيد قرية بكاملها من قرى الفيوم ، فلما استعظم الناس هذا الأمر وتحدثوا فيه، استعادها منه وردها إلى ما كانت عليه ، كما أقطع معاوية لمروان بن الحكم قرية فدك(٣٦) من أعمال المدينة مخالفاً بذلك سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ، واعتبرها من الصوافى(٣٧).

---

(٣٥) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٣٦) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . انظر ، ياقوت، المصدر السابق ، حـ٤ ص ٢٣٨ .

(٣٧) كان أهل فدك قد صالحوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نصف أرضهم ، فكانت بذلك ملكا خالصا له ، فأوقفها على أبناء السبيل ، فلما أجلى عمر بن الخطاب اليهود عن الجزيرة العربية أعطى يهود فدك قيمة نصف أرضهم ونخلهم ، ولما طلبتها السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) رفض أبو بكر أن يعطيها أياها ، وأبقاها على سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبناء السبيل ، وسار عمر وعثمان وعلى فيها بمثل ذلك ، فلما تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة اعتبرها من أرض الصوافى، وأقطعها لمروان بن الحكم فورثها أبناؤه من بعده ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ردها إلى ماكانت عليه فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ، ولما تولى المأمون الخلافة أمر باعطائها لورثة فاطمة الزهراء ، فلما تولى المتوكل استعادها منهم ، وردها إلى ماكانت عليه فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين . انظر ، البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٢-٣٨ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص٢١٤-٢١٥ ، ياقوت ، المصدر السابق ، حـ٤ ص ٢٣٨-٢٤٠ .

وسار خلفاء بنى أمية بعد معاوية على سياسته ، فاقطع الخليفة يزيد بن معاوية (٦١-٦٤هـ/ ٦٨٠-٦٨٣م) أرضا بوادى القرى(٣٨) لعبد الملك بن مروان(٣٩) وأقطع الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م) ما تبقى من أرض الصوافى فى بلاد الشام لأهله حتى لم يبق منها شيء(٤٠)وأقطع الخليفة الوليدبن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) أخاه سعيد بن عبد الملك أرضاً بجزيرة العراق(٤١)،وكان لهشام بن عبدالملك قبل أن يلى الخلافة دورين(٤٢)

---

(٣٨) وادى القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كثير القرى فتحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنة (٧ هـ) عنوة ولما أجلى عمر اليهود أجلى أهله وقسم أرضه بين من فتحه . انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، حـ٥ ص ٣٤٥ .

(٣٩) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٤٠) ابن عساكر ، المصدر السابق ، حـ١ ص ١٨٤ .

(٤١) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢١٣، ياقوت ، المصدر السابق، حـ٥ ص٣٢١.

(٤٢) دورين : لم أجد لدى ياقوت موضعا بهذا الاسم ولكنه يذكر عدة أماكن باسم « دوران » ، أولهما : موضع بين قديد والجحفة بالحجاز ، والثانى : موضع خلف جسر الكوفة ، والثالث : من قرى فم الصلح من نواحى واسط ومن المرجح أن دورين أحد الموضعين الثانى والثالث . انظر ، ياقوت، المصدر السابق ، حـ٢ ص ٤٨٠-٤٨١ .

وقراها إقطاعا، كما منحت له بنهر الرومان(٤٣) اقطاعات واسعة(٤٤).

وقام الولاة من بنى أمية بمنح الإقطاعات فى الولايات التى يلونها؛ فكان عبد العزيز بن مروان (٦٥-٨٤هـ/٦٨٤-٧٠٣م)(٤٥) أثناء ولايته على مصر يمنح الإقطاعات لأهله، فمنح أخاه عمر بن مروان قطيعة بمصر فابتنى بها قصراً، ومنح ابنه الأصبغ بن عبد العزيز أيضا القطائع (٤٦).

---

(٤٣) نهر الرومان ناحية من نواحى العراق يقال لها رستاق الرومان وينسب إليها فروخ أبو المثنى الرمانى الذى تقبل ضياع هشام بن عبد الملك بها. انظر الطبرى، المصدر السابق، حـ٧ ص١٤٢.

(٤٤) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة الحلبى القاهرة، ص ٦٠-٦١.

(٤٥) عبد العزيز بن مروان بن الحكم، كان ولى العهد الثانى بعد عبد الملك لأبيه مروان بن الحكم تولى ولاية مصر فى عهد أبيه ثم فى عهد أخيه عبد الملك (٦٥-٨٥هـ/٦٨٥-٧٠٥م) وأهتم بشئون مصر واستقرار الأمور بها، وتوفى وهو وال عليها قبل أن يلى الخلافة، انظر، الكندى، الولاة والقضاة، تصحيح رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص٤٨-٥٥. أبو المحاسن، النجوم الزهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، حـ١ ص١٧١-١٧٤، المقريزى، المصدر السابق، حـ١ ص٢٠٩-٢١٠.

(٤٦) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٧٣.

وكانت القاعدة الفقهية تنص على أن الإقطاع من أرض الصوافى العامرة يعد إقطاع استغلال فقط، وللدولة الحق فى استرجاعه ، ولا يجوز لمن أقطع إليه التصرف فيه بالبيع أو التوريث ، وليس له إلا حق استغلاله مقابل دفع مايفرض عليه من إجاره ، ويقول الماوردى (٤٧) عن أرض الصوافى : « فهذا النوع من العامر لايجوز إقطاع رقبته لأنه صار باصطفائه لبيت المال ملكا لكافة المسلمين فجرى على رقبته حكم الوقوف المؤبدة وصار استغلاله هو المال الموضوع فى حقوقه » ولم يعمل الأمويون بهذه القاعدة فاستولوا على كثير من أرض الصوافى - كما ذكرنا - وامتلكوها ملكية كاملة، وورثوها لأولادهم . ويبدو أن الأمويين قد استفادوا مما حدث للسجلات أثناء فتنة ابن الأشعث(٤٨)، فقد ذكرت المصادر أن

(٤٧) الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٩٢.

(٤٨) عندما أمتنع ملك كابل عن دفع الجزية ، أعد الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق جيشاً عظيماً، وأحسن استعداده حتى سمى بجيش الطواويس، وجعل عبد الرحمن بن الأشعث قائداً عليه وأرسله لمحاربة ملك كابل في سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) ولكن ابن الأشعث تباطئ فى الهجوم على عدوه، مما أدى لسوء العلاقات بينه وبين الحجاج ، وأمتنع ابن الأشعث عن الحرب وعاد بجيشه إلى العراق وأعلن الثورة على الحجاج ، ورفض الصلح الذي عرضه الخليفة عبد الملك بن مروان عليه ، واشتبك مع الحجاج فى معركة سميت بمعركة دير الجماجم فى سنة (٨٢هـ/٧٠١م) وأنتهت هذه المعركة بهزيمة ابن الآشعث وفراره وقتله فيما بعد، وقبض على أهله وصودرت أموالهم.

-

الإقطعات من أرض الصوافى فى العراق التى كانت أقطعت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان كانت مسجلة بالدواوين حتى أحترقت هذه الدواوين أثناء فتنة ابن الأشعث فى سنة (٨٢هـ/٧٠١م) فذهب أصل السجلات ودرس ، واستولى كل قوم على مابيدهم منها(٤٩).

وكان الخليفة عمر بن العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) يدرك عدم شرعية امتلاك القطائع من أرض الصوافى امتلاكاً تاماً فحض الأمويين على ردها وسماها المظالم ، ورد القطائع التى كان قد ورثها عن آبائه للدولة وقد عبر عن ذلك بقوله «إن أهلى قد أقطعونى مالم يكن لى أن آخذه ، ولا لهم أن يعطونيه »(٥٠) ، وكانت فدك من القطائع التى آلت إليه بالوراثة ، إذ بعد أن استصفاها

-

انظر، ابن قتيبة ، الأمامة والسياسة ، تحقيق طه الزينى ، مؤسسة الحلبى ، القاهرة ، حـ٢ ص٢٦-٤٤ ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، حـ٦ ص٢٦٦-٢٨٣ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، حـ٤ ص٧٤-٧٧ ، ٨٢ .

(٤٩) أبو يوسف، المصدر السابق، ص٥٧ ، البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٣٢٤ ، الماوردى ، المصدر السابق ١٩٢ ، المقريزى ، المصدر السابق ، حـ١ ص ٩٦.

(٥٠) ابن الأثير ، المصدر السابق ، حـ٤ ص١٦٤ ، وعن سياسة عمر تجاه أرض الصوافى وموقفه منها. انظر ، فلهوزن، المرجع السابق ، ص٢٨٠-٢٨١، ضياء الدين الريس ، المرجع السابق ، ص٢٢٢-٢٢٣.

معاوية بن أبى سفيان منحها إقطاعا لمروان بن الحكم ، وأورثها مروان لولديه عبد الملك وعبد العزيز ، فصارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد ولسليمان ابنى عبد الملك ، فلما تولى الوليد الخلافة سأله عمر حصته فى فدك فوهبها له ثم سأل سليمان حصته فيها فوهبها له أيضاً ، فاستجمعها عمر بن عبد العزيز ، وكانت من أحب الإقطاعات إليه ، ولكنه بعد أن تولى الخلافة ردها إلى ما كانت عليه فى عهد الرسول (صلى الله علية وسلم) والخلفاء الراشدين(٥١).

وقد فزع الأمويون من موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز وسياسته تجاه الإقطاعات ، لما يسببه ذلك من ضياع الكثير من ممتلكاتهم ، فارسلوا إليه عمته فاطمة بنت عبد الملك ، التى حاولت إقناعه بالتراجع عن موقفه ، وأخبرته بغضب الأسرة الأموية من سياسته ، ولكنه أصر على رأيه فى الإقطاعات من أرض الصوافى(٥٢).

---

(٥١) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٥٢) تقول المصادر لما أتته عمته قالت له «تكلم ياأمير المؤمنين فقال: ان الله بعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) رحمة ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة ، ثم أختار له ما عنده وترك للناس نهراً شربوا سوا ثم ولى أبو بكر فترك النهر على حاله. ثم ولى عمر فعمل عملهما ، ثم لم يزل النهر يستقى منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه ، والوليد وسليمان أبنا عبد الملك حتى أفضى الأمر الى وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ماكان عليه ، فقالت حسبك قد أردت كلامك ، فـإذا كانت مقالتك هذه فـلا أذكـر

ولما توفى عمر بن عبد العزيز عاد الأمويون مرة أخرى لحيازة الإقطاعات ومنحها لأولادهم منذ ولى يزيد بن عبدالملك الخلافة (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) ، وفى ذلك يقول ابن الأثير(٥٣): «وعمد يزيد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده» ومما يؤيد ذلك ما طلبه يزيد من عمر بن هبيرة الفزارى(٥٤) واليه على العراق وخرسان (١٠٢-١٠٥هـ/

شيئاً. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه ، وقد قيل أنها قالت له : ان بنى أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له : أنهم يحذرونك يوما من أيامهم، فغضب وقال كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره ، فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم ، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا». انظر، الأصفهانى، الأغانى، تحقيق عبد الستار فرج ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٣م ، حـ٩ ص ٢٤٧-٢٤٨ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، حـ٤ ص١٦٤.

(٥٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، حـ٤ ص١٦٦.

(٥٤) عمر بن هبيرة الفزارى ، كان من رجال الحجاج بن يوسف فغضب عليه فلجأ لجوار عبد الملك بن مروان ، ثم تولى جزيرة العراق لعمر بن عبد العزبز ، ثم تولى العراق وخرسان ليزيد بن عبد الملك بعد أن عزل أخيه مسلمة ابن عبد الملك عنها فى سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) وظل واليا عليها حتى مات يزيد وتولى هشام بن عبد الملك فعزله فى سنة (١٠٥هـ/٧٢٣م) وولى خالد بن عبد الله القسرى بدلا منه ، انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، حـ٤ ص١٨١-١٩٢.

٧٢٠ -٧٢٣م) بأن يتخذ له قطائع فى أرض العرب فى جهة البصرة فجعل عمر بن هبيرة يأتى القطيعة ، فيسأل عنها فيمسحها ويجوز فضولها ليزيد حتى ضج الناس من ذلك(٥٥) ، ومنح الخليفة هشام ابن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) إقطاعا كبيراً لأبنته عائشة برأس كيفا(٥٦) ، يعرف بها(٥٧) ، كما منح أبناءه الإقطاعات من الأرض الى استصفاها حسان النبطى(٥٨) على حد نهر الفيض(٥٩). ولم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى استيلاء الأمويين بعد عهد هشام بن عبد الملك على إقطاعات من أرض الصوافى، ومن المرجح أن ذلك يرجع إلى عدم وجود شاغر منها يمكن الاستيلاء عليه.

---

(٥٥) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٠.

(٥٦) رأس كيفا : من ديار مضر بجزيرة العراق ، قرب حران انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، حـ٣ ص١٤-١٥.

(٥٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٢١٤، ياقوت ، المصدر السابق ، حـ٣ ص١٤-١٥.

(٥٨) حسان النبطى ، كاتب الحجاج ، وهو مولى بنى ضبه ، وصاحب حوض حسان بالبصرة والذى تنسب إليه قناة حسان بالبطائح وقرية حسان بواسط ، كان له دراية كبيرة فى اصلاح الأرض الزراعية. انظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص ٣٥٩ ، قدامة بن جعفر ، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ليدن ، بريل ، ١٨٨٩ ، ص ٢٤٠.

(٥٩) البلاذرى ، المصدر السابق، ص٤٥٢ ، ابن الأثير ، المصدر السابق حـ٤ ص٣٣٤ . ونهر الفيض : نهر بالبصرة قديم واسع عليه قرى ومزارع . انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، حـ٤ ص ٢٨٢.

استصلاح الأراضى :

وكان إحياء الأرض الموات وزراعتها يعطى من يفعل ذلك حق الملكية التامة للأرض التى أحياها(٦٠) ، وقد عمل الأمويون على اقتناء الضياع بهذه الوسيلة ، مما عاد عليهم بالفائدة العظيمة ، وعلى الأرض الزراعية بالخير ، فاتسعت رقعتها وزادت ، ونما العمران حولها.

ويعرف أبو يوسف(٦١) الأرض الموات بقوله : أنها الأرض التى ليس فيها « أثر بناء ولا زرع، ولم تكن فينا لأهل القرية ، ولا مسرحا ، ولا موضع مقبرة ، ولا موضع محتطبهم ، ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهم وليست بملك لأحد ولا فى يد أحد فهى موات » ، واختلف فيما إذا كان الأحياء يجب أن يؤخذ فيه أذن الخليفة أم لا ، ويرى أبو يوسف(٦٢) أن إحياء الأرض غير مشروط بالأذن ، ولكن لحسم الخصومات يجب الأذن فى الأرض الموات القريبة من العامر ، أما البعيدة فالأذن فيها غير واجب .

وكانت الأرض الموات إما أرضا مغمورة بمياه المستنقعات فتستصلح بتجفيفها، أو أرضـا جافة بعيدة عن الميـاه ، فتسـتصلح

---

(٦٠) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٦٣-٦٤ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص٨٤-٨٧.

(٦١) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص٦٣.

(٦٢) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص٦٤.

بتوصيل ماء الرى إليها، وقد وجد الأمويون فى منطقة البطائح(٦٣) بالعراق مجالا واسعا لتحقيق هدفهم فى تملك الضياع وذلك بتجفيف مساحات شاسعة من أرضها واستصلاحها وزراعتها ، وكانت الأرض المستخرجة من البطائح ، تسمى «الجوامد»(٦٤)، وقد عرف رجال الإدارة الأموية فى العراق هذه الرغبة لدى الأمويين فتسابقوا لتحقيقها، فقام عبد الله بن دراج مولى معاوية أثناء ولايته خراج

---

(٦٣) البطائح : مفردها بطيحة، وتبطح السيل ، أى أتسع فى الأرض، والبطائح أرض بالعراق بين واسط والبصرة ، وسميت بالبطائح لأن المياه تبطحت بها ، وحدثت فى الأصل فى العهد الفارسى فى عهد«قباذ بن فيروز» فقد انفجر بثق عظيم فى أسافل كسكر ، فأغفل حتى غلب ماؤه وأغرق أراضى واسعة، فلما ولى « أنوشروان» أمر فردم بالمسنيات حتى عادت بعض تلك الأرض عامرة ، وفى سنة (٦ أو ٧هـ) زاد الفرات ودجلة زيادة لم ير مثلها، وأنبثقت البثوق العظام ، وجهد«أبرويز» فى سد هذه البثوق ، فلم يقدر للماء على حيلة ، ثم غزى المسلمون العراق ، وأنشغل الفرس بالحرب ، فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت إليها ، فاتسعت البطيحة وعظمت حتى قدرت مساحتها بثلاثين فرسخا فى ثلاثين ، وقدرت بخمسين ميلا عرضا فى مائتين طولا. انظر البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨-٣٥٩ ، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص ٢٤٠-٢٤١ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص١٧٧-١٧٩ ، ياقوت، المصدر السابق ، حـ١ ص٤٥٠-٤٥١ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، ص ٤٤٦.

(٦٤) قدامه بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص١٧٩.

العراق(٦٥) باستخراج الأرض من البطائح لمعاوية، مما بلغت غلته خمسة آلاف ألف درهم(٦٦).

وتجلى اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان باستخراج الأرض من البطائح فيما قام به الحجاج بن يوسف الثقفى(٦٧) أثناء ولايتـه

---

(٦٥) تولى عبد الله بن دراج خراج العراق فى أثناء ولاية المغيرة بن شعبة لها (٤٢-٥٠هـ/٦٦٢-٦٧٠م) بعد أن عزل معاوية المغيرة عن خراج الكوفة . انظر ، البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨، ابن الأثير ، المصدر السابق ، حـ٣ ص ٢٠٧.

(٦٦) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨، قدامة ابن جعفر، المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٧٩.

(٦٧) انحدر الحجاج بن يوسف الثقفى من أسرة بسيطة وعمل معلما للصبيان فى بداية أمره بثقيف وأشتهر بفصاحته وشدته، ولاه عبد الملك بن مروان الحجاز واليمامة واليمن (٧٣-٧٥هـ/٦٩٢-٦٩٤م) بعد انتصاره على عبد الله بن الزبير والقضاء على حركته بالحجاز فى سنة (٧٣هـ/٦٩٢م)، ثم ولاه عبد الملك ولاية العراق فى سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) وظل فى ولايته عليها حتى آخر عهد الوليد وتوفى بها سنة (٩٥هـ /٧١٣م) وعامل أهل العراق بالشدة حتى أستتب الأمر به، وكان الساعد الأيمن للخليفة عبد الملك بن مروان ومن بعده لابنه ، الوليد فى القضاء على كثير من الفتن فى الدولة . انظر ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ١ ص٢٠٦ ، ٢١٢ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٤ ص٢١-٢٥ ، ٢٣ ، ٨٠-٨٤ ، ١٢٢ ، ابن كثير، المصدر السابق، حـ٥ ص١٢١-١٥٦.

على العراق (٧٥-٩٥هـ/٦٩٤-٧١٣م) فعمد الحجاج للضياع التى كان عبد الله بن دراج قد استخرجها لمعاوية فأعاد استصلاحها وحازها للخليفة عبد الملك بن مروان(٦٨)، وعمل الحجاج على الاكثار من الأيدى العاملة اللازمة لاستصلاح أرض البطائح فاحضر قوما من زط السند(٦٩) ومعهم أهلوهم وأولادهم ، وأسكنهم أسافل كسكر(٧٠)،

---

(٦٨) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٦٩) الزط جيل أسود من السند تنسب إليهم الثياب الزطية ، وقيل الزط أعراب جت بالهندية ، وهم جيل من أهل الهند وظل هؤلاء الزط يتكاثرون بالبصرة فى ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة، فخرجوا على الدولة العباسية فى عهد الخليفة المأمون فى سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) فاستولوا علي البصرة ونواحيها ومنعوا وصول المؤن لبغداد ، وحاربتهم جيوش الخلافة ولكنها لم تستطيع التغلب عليهم إلا فى عهد المعتصم فى سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م) وحملوا أسرى إلى بغداد ، فنفاهم المعتصم إلى آسيا الصغرى ، وتعرضوا لعدوان البيزنطيين وأسرهم لهم فى سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) ومن ثم وجدوا طريقهم للانتقال إلى أوربا وعرفوا هناك باسم Gypies ، انظر البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٤٦١-٤٦٣ ، اليعقوبى ، حـ٢ ص ٤٧٢ ، المسعودى ، التنبيه والأشراف ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٢٣ ، ابن منصور ، المصدر السابق ، حـ٢ ص١٨٣ وانظر

Muir, The caliphate its decline and fall, Edinburgh, 1924, P. 554.

(٧٠) كسكر : من كور العراق الواسعة ، قصبتها واسط التى تقع بين الكوفة والبصرة ، وهى مشهورة بالزراعة وكثرة الخراج وتربية الطيور. انظر ، ياقوت ، المصدر السابق، حـ٤ ص٤٦١. القزوينى ، المصدر السابق ، ص٤٤٦.

وغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها وكانوا عماد استصلاح أرضها(٧١) كما منع الحجاج ذبح البقر حتى يكثر لينتفع به فى أعمال الزراعة(٧٢).

ولما انبثقت البثوق من المياه وغمرت الأرض فى منطقة البطائح فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، طلب الحجاج من الخليفة ثلاثة آلاف درهم لسد تلك البثوق فاستكثرها الخليفة ، فطلب مسلمة ابن عبد الملك(٧٣) من أخيه أن يقوم هو بانفاق هذا المبلغ على يد الحجاج بن يوسف على أن يقطعه الخليفة الوليد الأرض المنخفضة التى تتبقى بعد سد البثوق ، فحصل مسلمة على أراضى واسعة امتلكها وعمرها بالزروع(٧٤).

وقام حسان النبطي كاتب الحجاج بدور كبير فى استصلاح أراضى

---

(٧١) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٤٦٢.

(٧٢) ابن خرداذبة ، المسالك الممالك، ليدن ، بريل ١٨٨٩ ، ص١٥.

(٧٣) مسلمة بن عبد الملك كان قائداً حربياً فذا قضى معظم حياته فى القضاء على الفتن والثورات التى قامت ضد الأمويين فى الداخل، أما فى الخارج فكان له اليد الطولى فى قيادة الحملات ضد الروم وأشهر حملاته كانت حملته على القسطنطينية فى عهد سليمان بن عبد الملك فى سنة (٩٨هـ/٧١٦م) وتوفى فى سنة (١٢١هـ/٧٣٨م) . انظر ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، حـ٣ ص٩٦ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، حـ٥ ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٧٤) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ ، قدامة بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٤١.

البطيحة، فاستخرج أرضا للخليفة الوليد ومن بعده لأخيه الخليفة هشام بن عبد الملك (٧٥) .

واهتم الأمويون كذلك بإستصلاح الأرض البور التى لاتصلها مياه الرى، واستلزم ذلك منهم عناية بمشروعات الرى فاصبح من سياستهم حفر الأنهار والآبار والعيون، وتطهير وإعادة حفر القديم منها، وإقامة القناطر والسدود، وبناء الصهاريج لخزن مياه الأنهار، مما أدى إلى تعمير الأرض الزراعية(٧٦) . وساعد على تملك الأمويين للضياع، ومن أمثلة ذلك ما قام به هشام بن عبد الملك من حفر نهرى الهنى والمرى اللذين أخذا مياههما من نهر الفرات وأقام عليهما ضيعته المشهورة التى أخذت اسمها من النهرين فعرفت بضيعة الهنى والمرى(٧٧) .

ولم يكن الاهتمام بمشروعات الرى يلقى اهتماما من الخلفاء فقط بل شارك فيه الأمراء الأمويون، فكان لسعيد بن عبد الملك قطيعة فى غيضه من الأرض تنتشر فيها السباع فى نواحى جزيرة العراق

---

(٧٥) البلاذرى، المصدر السابق ، ص٢٥٩، الماوردى، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٧٦) عن اهتمام الأمويين بمشروعات الرى فى الدولة عامة فى عهدهم. انظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص٤٣٩، ابن رستة الأعلاق النفيسة، ليدن، بريل، ١٨٩١، ص٩٤، الطبرى، المصدر السابق، جـ٦ ص٤٦٧، ياقوت المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨، ٦٩، جـ٤ ص٤٧٠، ابن عساكر، المصدر السابق، جـ١ ص١٤٠.

(٧٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص٢١٣، الزبيرى، المصدر السابق، ص١٦٤.

فحفر بها النهر المعروف باسمه، وهو نهر سعيد، فوصلها الماء وعمرت(٧٨) ولما تولى سليمان بن عبد الملك فلسطين من قبل الوليد ابن عبد الملك وجه أهتمامه لمشروعات الرى بها فحفر لأهل مدينة الرملة(٧٩) قناتهم التى تدعى بردة، وأحتفر لهم آبارا وامتلك بذلك أرضا عظيمة بها(٨٠) ، وكان لمسلمة بن عبد الملك نشاط كبير فى هذ المجال، فعندما منحه الوليد بن عبد الملك الأرض المنخفضة التى تبقت بعد أن أنفق مسملة على سد البثوق بالبطائح حفر إليها نهرى السيبين، فعمر تلك الأراضى وامتلكها(٨١) وأصبحت تعرف بضيعة السيبين(٨٢) ، كما حفر نهر مسلمة لأهل بالس(٨٣) والقرى

---

(٧٨) البلاذرى،نفسه، ص٢١٣، الزبيرى، المصدر السابق، ص١٦٥، ياقوت، المصدر السابق، جـ٥ ، ص٣٢١.

(٧٩) الرملة: كورة فى فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوماً، بناها سليمان بن عبد الملك حين تولى فلسطين فى خلافة الوليد بن عبد الملك. انظر، ياقوت، المصدر السابق جـ٣ ص٦٩.

(٨٠) البلاذرى، المصدر السابق، ص١٧٠، ياقوت المصدر السابق، جـ٣ ص٩٦.

(٨١) البلاذرى، المصدر السابق، ص٢٦٠، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٢٤١.

(٨٢) ابن خرداذبة، المصدر السابق ، ص ٨ ، ١١ .

(٨٣) بالس: قرية بالشام بين حلب والرقة، تبعد عن نهر الفرات أربعة أميال، انظر، ياقوت، المصدر السابق، جـ١ ص٣٢٨، القزوينى، المصدر السابق، ص٢٠٦.

المحيطة بها، وامتلك بذلك الأرض هناك(٨٤) ، وأقام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم(٨٥) أثناء ولايته على أرمينيا وأذربيجان (١١٤ - ١٣٦هـ / ٧٣٢-٧٤٣م) قنطرة بورثان(٨٦) ، فأحيا أرضها وصارت ورثان ضيعة له(٨٧) .

وساهم الولاة أيضا بنصيب كبير فى انجاز مشروعات الرى، فساعدوا بذلك على حيازة الأمويين للكثير من الضياع التى استصلحت أرضها، فقام الحجاج بن يوسف بحفر كثير من الأنهار فى العراق فأكمل حفر نهر سعد(٨٨) وحفر نهر الصين بناحية كسكر ،

---

(٨٤) البلاذرى ، المصدر السابق، ص١٧٨، ياقوت، المصدر السابق، جـ١، ص٣٢٨.

(٨٥) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم كان قائدا عسكريا فذا حارب الروم والترك والخزر وتولى أرمينيا وأذربيجان فى عهد هشام بن عبد الملك، وكان من الشخصيات العظيمة لبنى أمية لولا تدهور أمور الخلافة التى بويع بها فى سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) وتضافر العوامل الداخلية والخارجية على ذلك فى عهده لكان له شأن وانتهى الأمر بقتله على أيدى العباسيين وبذلك سقطت الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م). انظر ابن كثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص٤٦-٤٨.

(٨٦) ورثان: بلد فى آخر حدود أذربيجان بينه وبين وادى الرس فرسخان، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص١٢٢، انظر، ياقوت المصدر السابق، جـ٥ ص٢٧٠-٢٧١.

(٨٧) البلاذرى ، المصدر السابق، ص٤٠٤، ياقوت، المصدر السابق، جـ٥، ص٢٧٠-٢٧١.

(٨٨) البلاذرى ، المصدر السابق، ص٣٢٦.

كما حفر نهرى النيل والزابى وأحيا الأرض الواقعة بين هذين النهرين، واتخذ الضياع لعبد الملك بن مروان(٨٩) ، وقام خالد بن عبد الله القسرى والى العراق (١٠٥-١٢٠هـ/٧٢٣-٧٣٧م)(٩٠) بحفر العديد من الأنهار فى سواد العراق(٩١)، فحفر نهر خالد، وباجرى، وتارمانا، والمبارك والجامع، وسابور، والصلح(٩٢) ،

---

(٨٩) البلاذرى ، نفسه، ص٣٥٥.

(٩٠) ينتسب خالد بن عبد الله القسرى إلى قبيلة بجيلة التى ساهمت فى فتح سواد العراق وأعطاها الخليفة عمر بن الخطاب ثلث السواد ولكنه عاد واسترد ما أعطاه لهذه القبيلة وعوضها بدلا منه بالأموال، وتولى العراق لهشام ابن عبد الملك ولكنه غضب عليه وصادره، وقام والى العراق بعده يوسف بن عمر الثقفى بتعذيبه واستخراج الأموال منه. انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٢٥-٢٢٨.

(٩١) سواد العراق يمتد طوله من حديثه الموصل إلى عبدان، وعرضه يمتد بين العذيب بالقادسية إلى حلوان، وقام العرب بفتح سواد العراق فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وسموه بالسواد لامتلائه بالزروع والنخيل والأشجار حيث تاخم جزيرة العرب التى لا زرع فيها ولا شجر، والعرب يسمون الأخضر أسود، والأسود أخضر، وعندما أتم العرب فتح السودان رفض عمر تقسيمه بين الفاتحين وتركه فى أيدى أهله، وفرض عليه الخراج حتى يكون مادة لمن يأتى من المسلمين فيما بعد ووقفا يصرف منه على مصالح الدولة. انظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص٢٩٦- ٢١٢، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص١٤، ابن رستة، المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٥، ياقوت المصدر السابق، جـ٢ ص٢٧٢-٢٧٥، الماوردى، المصدر السابق، ص١٧٢-١٧٦، بن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢١٠-٢١١.

(٩٢) الطبرى، المصدر السابق، جـ٧، ص١٥١-١٥٢، ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٢٦.

وسكر دجلة، أى أقام عليه السدود لمنع مياهه من الفيضان، وكان يفخر بأن أحدا قبله لم يفعل ذلك(٩٣) ، كما أقام قنطرة الكوفة، واستأذن الخليفة هشام بن عبد الله فى عمل قنطرة على دجلة وأعظم النفقة عليها؛ فلم تلبث أن قطعها المـاء ، فاغرمه هشـام ما أنفق(٩٤) . ونتج عن قيام خالد بن عبد الله القسرى بحفر هذه المجموعة الكبيرة من الأنهار استصلاح أراضى وضياع شاسعة على ضفافها حازها لنفسه، وآلت هذه الأراضى إلى الخليفة هشام بن عبد الملك عندما عزله وصادر أمواله فاصبحت من الضياع الأموية(٩٥) .

شـــرا. الأرض :

كان شراء الأرض الزراعية أيضا من الوسائل التى لجأ إليها الأمويون لتملك الضياع، وامتلك الخليفة معاوية بن أبى سفيان بهذه الوسيلة ضياعا عديدة، ولكى يحقق معاوية الغرض الأساسى من تملك الضياع - وهو تنمية موارده المالية - حرص على شراء الأرض الزراعية الجيدة، وكان من الطبيعى أن يوجه عنايته إلى شراء الأرض بأقليم الشام: فهى مركز حكمه ودار خلافته، وهو يعرف أرضها جيدا فأرضها تعد من أخصب الأراضى وأجودها(٩٦) وكانت معرفـــة

(٩٣) الطبرى، المصدر السابق، جـ٧ ص١٤٢، ابن رستة، المصدر السابق، ص٩٥-٩٦، ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٩٤) البلاذرى، المصدر السابق،ص٢٥١.

(٩٥) الطبرى، المصدر السابق، جـ٧، ص١٤٧-١٥٧.

(٩٦) عن خصوبة أراضى الشام، أنظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص١٦٢، ابن حوقل، المصدر السابق، ص١٥٨-١٦٠، ياقوت، المصدر السابق، جـ٢ ص٢١١-٢١٤، القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الأنشا، القاهرة، ١٩٦٣، جـ٤ ص٨٢-٨٦، ٩٠-٩١، ٩٨-٩٩.

الأمويين لجودة أرض الشام ورغبتهم فى شرائها ترجع إلى الجاهلية حيث ورث معاوية بها ضيعة تسمى بقبش عن أبيه أبى سفيان بن حرب بن أمية الذى اشتراها أثناء ذهابه للشام للتجارة(٩٧) - ويروى الجهشيارى(٩٨) أن معاوية بن أبى سفيان أثناء خلافته كتب الى عامله على خراج فلسطين يطلب منه أن يشترى له الضياع فقال له: «اتخذ لى ضياعا ولا تكن بالداروم(٩٩) المجداب، ولابقيسارية(١٠٠) المغراق، واتخذها بمجارى السحاب، فاتخذ له البطنان(١٠١) من كورة عسقلان»(١٠٢).

وعمل معاوية بن أبى سفيان أيضا على شراء الضياع فى أرض الحجاز، وبالغ فى دفع أثمانها، ولعله هدف من وراء ذلك السيطرة

---

(٩٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص١٥٢، وكانت بقبش تقع فى البلقاء بالشام.

(٩٨) الجهشيارى ، المصدر السابق، ص٢٦.

(٩٩) الداروم، يقال لها الدارون أيضا: وهي قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، بينها وبين البحر مقدار فرسخ، انظر، ياقوت المصدر السابق، جـ٢ ص٤٢٤.

(١٠٠) قيسارية: بلد على ساحل الشام، من أعمال فلسطين، وكانت من أمهات المدن، انظر، ياقوت، المصدر السابق، جـ٤، ص٤٢١.

(١٠١) البطنان: بطنان الأودية هى المواضع التى يستريض فيها ماء السيل فيكرم نباتها، والبطنان اسم واد بين منبج وحلب، فيه أنهار جارية، وقرى متصلة. انظر، ياقوت المصدر السابق، جـ١ ص٤٤٧-٤٤٨.

(١٠٢) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر، ويقال لها عروس الشام، انظر، ياقوت، المصدر السابق، جـ٤ ص١٢٢.

على اقتصاديات هذا الأقليم الذى كان يعد من أهم مراكز المعارضة لحكم معاوية، فاشترى أرضا بوادى القرى من أعمال المدينة(١٠٣)، واشترى فى تيماء(١٠٤)ضيعة كانت لسعية بن غريض(١٠٥) ودفع فيها ستين ألف دينار(١٠٦) وفى المدينة اشترى من عبد الله بن جعفر بن أبى طالب(١٠٧)أرضا بها مجموعة من العيون كثيرة النخل غزيرة الماء تعرف بالبغيبغات(١٠٨)، واشترى من عبد الله بن حعفر

---

(١٠٣) البلاذرى، المصدر السابق، ص٤٠.

(١٠٤) تيماء: بليدة على طريق الحاج الشامى ووادى القرى، صالح أهلها من اليهود الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الجزية فى سنة (٩هـ) وأقاموا بأرضهم حتى أجلاهم عمر بن الخطاب عنها عندما أجلى اليهود عن الجزيرة العربية، انظر، ياقوت، المصدر السابق، جـ٢ ص٦٧.

(١٠٥) سعية بن غريض: من شعراء العصر الأموى كان فى الأصل يهوديا، وكان معاوية بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان يعجبان بشعره، ويتمثلان به، انظر، الأصفهانى، المصدر السابق، جـ٢٢ ص١١٤ - ١١٧.

(١٠٦) الأصفهانى ، المصدر السابق ، جـ٣ ص١٢٤.

(١٠٧) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب. ولد بأرض الحبشة أثناء هجرة المسلمين إليها، وكلفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد استشهاد أبيه فى غزوة مؤتة، واشتهر عبد الله بالجود والسخاء العظيم، وكان صديقا لمعاوية بن أبى سفيان الذى أوصى به ابنه يزيد، انظر، الزبيرى، المصدر السابق، ص٨٠-٨١، ٣٠٤، ابن حزم، المصدر السابق، ص٣٨، ٦٨، الجاحظ، البخلاء ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، جـ٢ ص١٥٠، ابن كثير، المصدر السابق، جـ٩ ص٣٦-٣٧.

(١٠٨) البغيبغات: عدد من العيون، احتفرها على بن أبى طالب بينبع ،

أيضا أرضا زراعية بالمدينة تعرف بالغابة، ودفع له فيها مليونى درهم(١٠٩)، واشترى العرصة وهى أرض مملوءة بالنخيل والآبار، ودفع فيها ثلاثة ملايين من الدراهم(١١٠)، واشترى كذلك ثنية الشريد، وكانت أعنابا ونخلا لم ير مثلها(١١١). وهكذا اتسعت ممتلكات معاوية بن أبى سفيان فى المدينـة ونواحيها اتسـاعا كبيـرا

وتصدق بها، ثم أعطاها الحسين بن على لعبد الله بن جعفر ليستعين بها على على نفقاته على ألا يزوج ابنته ليزيد بن معاوية، فباع عبد الله تلك العيون لمعاوية، وتعرف تلك العيون اليوم بينبع، انظر، ابن شبه، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم شلتوت، دار الأصفهانى، جدة، ١٩٧٩م. ص٢٢٢-٢٢٣، السمهودى، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، جـ٤ ص١١٥٠-١١٥١.

(١٠٩) الغابة: مكان مملوء بالزرع فى سافلة المدينة على بعد ثمانية أميال منها، انظر، السمهودى، المصدر السابق، جـ٤ ص١٧٢٦.

(١١٠) العرصة : عرصتان الكبرى والصغرى، والعرصة الصغرى تعرف بعرصة الماء، وهى مكان مملوء بالنخيل والآبار، وابتنى بها عمرو بن سعيد ابن العاض قصرا رائع الجمال فعرفت بعرضة سعيد، انظر، السمهودى، المصدر السابق، ص١٠٥٤-١٠٥٧.

(١١١) ثنية الشريد، مزارع بها منازل وآبار وتنبت ضروبا من الكلأ ويفضى إليها سيل من وادى العقيق، وهى إلى الشرق من جبل عير، وإلى الغرب من جبل يقال له الفراء بالمدينة، انظر السمهودى، المصدر السابق، جـ٢ ص١٠٦٦-١٠٦٧.

حتى كان يحمل له منها مائة وخمسين ألف وسق(١١٢)من التمر، ومائة ألف وسق من الحنطة(١١٣).

أما فى مكة فقد عمل معاوية على شراء كثير من الحوائط(١١٤) الغنية بالمزروعات والنخيل(١١٥)، وكذلك اشترى أرضا زراعية بمصر(١١٦).

وكان ممن عمل على شراء الضياع أيضا عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته لمصر(١١٧)، فعندما أراد أن يعمر حلوان اشترى من الأقباط أرضا ودفع ثمنا لها عشرة آلاف دينار(١١٨)، واشترى ابنه

(١١٢) الوسق: مكيال لأهل المدينة يساوى ٦٠ صاعا أو ٣٢٠ رطلا. انظر أبو عبيد، المصدر السابق ، ص٦٥ - ٤٤٦.

(١١٣) اليعقوبى، المصدر السابق ، جـ٢ ص٢٣٤-٢٥٠، السمهودى، المصدر السابق، جـ٢ ص١٢٧، جـ٢ ص٩٨٨.

(١١٤) الحائط : هو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط أى جدار. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، جـ٢ ص١٠٥٢.

(١١٥) عن الحوائط التى امتلكها معاوية بمكة. انظر، الأزرقى، تاريخ مكة، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٩٧٨م، ص٤٤٢-٤٤٣.

(١١٦) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٧٤ - ٧٥ .

(١١٧) عن الأرض الزراعية التى اشتراها عبد العزيز بن مروان، انظر، ابن عبد الحكم ، المصدر السابق، ص٧٦، ٧٧، ٨٢، ٩٦.

(١١٨) الكندى، المصدر السابق، ص٤٩-٥٠، أبو المحاسن، المصدر السابق، جـ١ ص١٨٥.

الاصبغ قطيعة ابن سندر من ورثته، وعمرها، وعرفت بمنية الأضبغ، وليس فى أرض مصر قطيعة أفضل منها(١١٩).

ويبدو أن اقبال الأمويين على توسيع ملكياتهم من الضياع عن طريق الشراء كان سببا فى سماح الخليفة عبد الملك بن مروان ومن بعده ابنيه الوليد وسليمان للمسلمين بشراء الأرض الخراجية(١٢٠)، مما نشأ عنه تحول هذه الأرض إلى أرض عشرية، ونتج عن ذلك فقدان الدولة جزءا كبيرا من دخلها من ضريبة الخراج، وقد تصدى الخليفة عمر بن عبد العزيز لعلاج هذا الخلل، فأصدر قراره المعروف بوقف تحويل الأرض الخراجية إلى أرض عشرية، واعتبار سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) فاصلا لقانونية شراء الأرض ولم يجعل لهذا القرار أثرا رجعيا، فما سبق شراءه يبقى على ما هو عليه، وألزم المسلم الذى يشترى الأرض الخراجية بدفع الخراج وليس العشر ولكن هذا القرار ألغى بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز وعاد الأمر إلى ما كان عليه من قبل من شراء الأرض الخراجية(١٢١).

الالجاء :

ومن الوسائل التى ساعدت الأسرة الأموية على اقتناء الضياع نظام الالجاء(١٢٢) ، ويرجع هذا النظام إلى ما قبل الإسلام فقد

(١١٩) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٩٦، المقريزى، المصدر السابق، جـ١ ص٩٦، سيدة كاشف، المرجع السابق، ص٤٩ .

(١٢٠) ابن عساكر، المصدر السابق، جـ١ ص١٨٤ .

(١٢١) ابن عساكر، نفسه ، جـ١ ، ص١٨٥ .

(١٢٢) يقول ابن منظور : لجأت إلى فلان، والتجأت، وتلجأت إذا استندت إليه واعتضدت به ، والجاء : عصمه . انظر، ابن منظور، المصدر

انتشر فى كل من الدولة الفارسية(١٢٣)والدولة البيزنطية(١٢٤)وعاد للظهـور فى العهد الأموى نتيجة لزيادة الضـرائب المفروضـة على

السابق، جـ٥ ص٣٩٩٧. ويقول الخوارزمى: التلجئة أن يلجئ الضعيف ضيعه الى قوى ليحامى عليها، وجمعها الملاجئ، والتلاجئ، وقد يلجئ القوى الضيعة وقد الجأها صاحبها إليه، انظر، الخوارزمى، المصدر السابق، ص٤١.

(١٢٣) يثبت انتشار هذا النظام فى الدولة الفارسية ما رواه الجهشيار فى العهد المنسوب الى «سابور بن أردشير» والذى يوجه فيه النصائح الى ابنه سابور، ومنها «واعلم أن من أهل الخراج من يلجئ بعض أرضه وضياعه إلى خاصة الملك وبطانته، لأحد أمرين أنت حرى بكرامتهما؛ إما لامتناع من جور العمال وظلم الولاة، فتلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمال وضعف الملك وإخلاله بما تحت يده، وإما لدفع ما يلزمهم من الحق الكسر له، فهذه خلة يفسد بها أدب الرعية وتنتقص الملك فاحذر ذلك وعاقب الملجئين والملجأ إليهم. انظر، الجهشيارى، المصدر السابق، ص٦=٧.

(١٢٤) ظهر هذا النظام فى الدولة البيزنطية فى نهاية القرن الرابع الميلادى عندما حصل أثرياء الملاك من الحكومة على حق عرف باسم (أتوبراجيا ـ autopragia) أى حق الجباية الذاتية الذى يخول لهم دفع الضرائب إلى خزانة الدولة المباشرة، دون تدخل جباة الضرائب، وساعد ذلك على لجوء صغار الملاك لحماية هؤلاء الأثرياء من قسوة جباة الضرائب فكتبوا ضياعهم باسمائهم وهو ما عرف بنظام الحماية (Patrocinium) وقاومت الدولة هذا النظام دون جدوى فظل موجودا بأقاليمها وانتهى بفتح المسلمين لها، انظر، بل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ترجمة عبد اللطيف أحمد على، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣م، ص١٧٨=١٧٩، السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣٤٧-٣٤٨، ٣٦١، انظر كذلك السيد الباز العرينى، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، ١٩٦١م، ص١٥.

الأرض الزراعية، وتشدد الجباة وقسوتهم فى معاملة صغار الملاك من أصحاب الضياع يلجأون لطلب الحماية من الأشخاص الأقوياء ذوى النفوذ والسلطان فيسجلون ضياعهم باسماء هؤلاء الأقوياء فى ديوان الخراج، وبذلك يمتنع الجباة عن التعرض لهذه الضياع أو جباية خراجها، إلا من خلال المالك الجديد الذى غالبا لايجرؤ الجباة على استعمال القسوة والشدة مع مزارعيه، هذا بالاضافة إلى أن هؤلاء الكبراء كانوا يدفعون ضرائب أقل مما يدفعه غيرهم، فيستفيدون بفرق الضرائب المفروضة أصلا على الضياع التى الجئت لهم والضرائب الفعلية التى يدفعونها، وبمرور الزمن كانت تلك الضياع تتحول إلى ملكية هؤلاء الأقوياء، ويتبدل وضع المالك الحقيقى ليصبح مجرد مزارع فيها(١٢٥)، وقد حاز الأمراء الأمويون العديد من الضياع عن طريق الألجاء، فالجأ كثير من أصحاب الضياع فى منطقة البصرة بأرض البطائح ضياعهم لمسلمة بن عبد الملك(١٢٦) ويقول قدامة بن جعفر(١٢٧) عن ذلك: «وتالف الأكرة (الفلاحين)

---

(١٢٥) عن نظام الالجاء فى العهد الاسلامى، انظر، الخوارزمى، المصدر السابق، ص٤١، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٢٤١، الأصطخرى، المصدر السابق، ص٩٦، جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، القاهرة، ١٩٠٢م، جـ٢، ص١٣٠، السيد الباز العرينى، الاقطاع فى الشرق الأوسط، ص١٢١، ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص٢٦٨ .

Fateh, OP. cit., p738.

(١٢٦) البلاذرى المصدر السابق، ص٣٦٠، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٢٤١ .

(١٢٧) قدامة بن جعفر، المصدر السابق ، ص٢٤١ .

والمزارعين وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس أيضا إليه كثيرا من أرضيهم المجاورة لها طلبا للتعزز به».، كما ألجأ أهل بالس والقرى المحيطة بها أرضهم لمسلمة للتعزز به كذلك(١٢٨) ، وألجأ أهل المراغة(١٢٩) ضياعهم إلى مروان بن محمد، وتالف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز به وعمروها(١٣٠)، وأصبحت هذه الضياع بمرور الوقت ملكا للأمويين توارثها أعقابهم، ومما يثبت ذلك أن العباسيين عندما أقاموا دولتهم وصادروا ضياع الأمويين كانت هذه الضياع ضمن ضياع الأمويين التى صودرت(١٣١).

المصادرات :

كانت المصادرات أيضا من الوسائل التى نمت عن طريقها ممتلكات الأمويين من الضياع، فكان الأمويون يصادرون أموال وممتلكات الخارجين عليهم(١٣٢)، فصادر الخليفة عبد الملك بنى

---

(١٢٨) البلاذري، المصدر السابق ، ص١٧٨ .

(١٢٩) المراغة : من بلاد أذربيجان المشهورة ، عسكر بها مروان بن محمد فى احدى غزواته أثناء ولايته على بلاد أرمينيا واذربيجان ، وكانت دواب الجيش تسرح فى مراعيها. انظر، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص١٢٠-١٢١، ياقوت، المصدر السابق، جـ٥ ص٩٢.

(١٣٠) البلاذري، المصدر السابق ، ص٤٠٤ ، ياقوت، المصدر السابق، جـ٥ ص٣٩.

(١٣١) قدامة بن جعفر، المصدر السابق ، ص٢٤١، البلاذرى، المصدر السابق، ص١٧٨، ٣٦٠ .

(١٣٢) جرجى زيدان، المرجع السابق، جـ٢ ، ص١٢٥، انظر،
Fateh, OP. cit., p738.

مروان ضياع آل الزبير بعد فشل ثورة عبد الله بن الزبير وقتله فى سنة (٧٣هـ/٦٩٢م)(١٣٣) فاستولى على ماكان لهم من ضياع فى الحجاز(١٣٤) ، وفى مصر(١٣٥) ، وصادر الخليفة الوليد بن عبد الملك بنى عمرو بن حزم، فاستصفى أموالهم وقبض ضياعهم(١٣٦). وصادر يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) أملاك أسرة المهلب وقبض ضياع واقطاعات عديدة منهم، وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد أقطع يزيد بن المهلب(١٣٧) أراضى

---

(١٣٣) خرج عبد الله بن الزبير على الدولة الأموية بعد أن رفض مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة، وبويع ابن الزبير بالخلافة فى مكة سنة (٦٢هـ/٦٨١م) ودخلت مصر والعراق بالاضافة للحجاز واليمن فى سلطانه، وقوى أمره، فلما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة أرسل له جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى الذى قضى على حركة ابن الزبير، وانتهى الأمر بمقتله فى سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م). انظر، ابن قتيبة، المصدر السابق، جـ٢ ص٩-٢٥، ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٣ ص٣٠٥، ٣١٦، ٣٥٤، جـ٤ ص٢١-٢٧ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص١٢٢ - ١٢٤، أبو المحاسن، المصدر السابق، جـ١ ص١٥٨ - ١٩٠ .

(١٣٤) الأزرقى ، المصدر السابق ، جـ١ ص٢٥٢ .

(١٣٥) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، جـ١ ص٨٣ .

(١٣٦) الطبرى، المصدر السابق ، جـ٨ ص٨٥. وكان أبو بكر بن عمرو ابن حزم تولى المدينة بعد عزل عمر بن عبد العزيز عنها فى سنة (٩٣هـ/٧١١م) وعزله الوليد بن عبد الملك وولاها فى نفس العام عثمان بن حيان المرى. انظر، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٤١٦ .

(١٣٧) ولى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على خرسان فى سنة (٩٧هـ/٧١٥م) وقام بفتح طبرستان، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة

شاسعة فى البطيحة، فاستخرج منها عدة ضياع عرفت بالشرقى، والجبان والخست والريحية ومغيرتان، وغيرها، فصادرها يزيد واستولى عليها، كما صادر ضيعة عباسان التى كانت لزوجة يزيد بن المهلب(١٣٨)، وكذلك صادر ضيعة مهلبان التى كانت للمغيرة بن المهلب(١٣٩).

وقام هشام بن عبد الملك بمصادرة خالد بن عبد الله القسرى والى العراق فى عهده، وكان خالد ينتسب لقبيلة بجيلة التى قامت بدور كبير فى فتح العراق وجعل لها الخليفة عمر بن الخطاب ربع السواد، مكافأة لها، ثم عاد وأخذه منها وعوض أهلها عن ذلك

(٩٩-١٠١هـ/١٠٣-١٠٥م) طالب يزيد بن المهلب بخمس الأموال التى غنمها، فعجز عن أدائها فسجنه فى جزيرة دهلك ثم نقله لسجن حلب، ولما مرض عمر ابن عبد العزيز استطاع المهلب الهرب إلى البصرة، وأعلن الثورة واستولى على البصرة وأسر واليها واستولى على الكوفة، وأنضمت إليه قبيلة الأزد فعظم أمره، واشتدت سطوته فى عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) فبعث إليه يزيد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فى جيش عظيم، فقتل ابن المهلب فى المعركة التى قامت بينهما، وتفرقت جموعه، وفر أخوته إلى كرمان والسند، ولكن يزيد بن عبد الملك أمر بتعقبهم ونكل بهم، انظر، الطبرى، المصدر السابق، جـ٦، ص٥٢٩، ٥٦٦، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٧٨، ٥٨٨، ٥٠٩، ٦٠٢. ، ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٤، ص١٤٧، ١٧٦، المبرد، الكامل فى اللغة، مكتبة المعارف بيروت، جـ٢، ص٢٧٢ وما بعدها.

(١٣٨) البلاذرى، المصدر السابق ص٤٥٤.

(١٣٩) البلاذرى، نفسه ص٤٥١.

بالأموال مقابل استرجاع الأرض(١٤٠) ، فلما تولى خالد بن عبد الله ولاية العراق عمل على حيازة كثير من الضياع لنفسه بدعوى أن أرض العراق كانت لقبيلته وكان يقول «أننى والله مظلوم ما تحت قدمى من شئ إلا وهو لى»(١٤١)وفى الوقت ذاته كان الخليفة هشام بن عبد الملك من المهتمين بتملك الضياع، فصار بينهما ما يشبه المنافسة الاقتصادية، وزاد من حدة هذه المنافسة الوقيعة التى قام بها متوكل ضياع الخليفة هشام فى العراق، فاحتال حتى عرف الخليفة مقدار غلة الضياع التى يمتلكها خالد والتى وصلت على ما قيل ثلاثة عشر ألف ألف ، وفى رواية أخرى عشرين ألف ألف(١٤٢)، فقبض الخليفة على خالد وصادر ضياعه، فاصبحت من ضياع الخلافة(١٤٣).

ولما كان اصطلاح الضياع لا يعنى الأرض الزراعية فقط، ولكنه يعنى - كما يذكر ابن منظور(١٤٤) العقار والمنازل والأرض المغلة (أى الأرض التى يقام عليها الأبنية للاستغلال كالحوانيت والطواحين

(١٤٠) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٣١١، ٣٢٨، اليعقوبى، البلدان ، ص٣١٠ .

(١٤١) الطبرى ، المصدر السابق، ص٧ ، ص١٥٢، ابن الأثير ، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٣٦ .

(١٤٢) الطبرى، نفسه ، جـ٧ ص١٤٢ - ١٤٣، ابن الأثير، نفسه ، جـ٤ ص٢٢٥ .

(١٤٣) الطبرى ، المصدر السابق، جـ٧ ص١٤٢-١٥٤ .

(١٤٤) ابن منظور ، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٤-٢٦ .

وغيرها)(١٤٥) ، فإن الضياع الأموية كانت تشمل إلى جانب الأرض الزراعية، ممتلكات أخرى امتلكها الأمويون بهدف استغلالها، ففى مصر امتلك معاوية بن أبى سفيان دوراً بالفسطاط(١٤٦)، وقام عبد العزيز بن مروان ببناء عدد من القيساريات(١٤٧). لاستغلالها(١٤٨)، وامتلك الوليد بن عبد الملك حمامات(١٤٩)وحوانيت بالجيزة،وامتلك

---

(١٤٥) كان يطلق على الأرض التى يقام عليها أبنية للاستغلال كالطواحين والأسواق وغيرها (المستغلات)، وكان للدولة فى العصر الأموى الكثير من المستغلات حتى أنشئ لها ديوان يعرف بديوان المستغلات، كان عليه فى أيام الوليد بن عبد الملك مولاه نفيع بن ذويب واسمه مكتوب فى لوح فى سوق السراجين بدمشق. انظر، الجهشيارى، المصدر السابق، ص٤٧، الأصطخرى، المصدر السابق، ص٩٦، ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص٢٢٧. انظر، The Ency. of Islam, (Art diwan), new edition, Vol. II, p.324.

(١٤٦) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥ .

(١٤٧) القيساريات أو القياسر مفردها قيسارية، وأصل الكلمة لاتينى (Caesarum) وتعنى البناء الملكى أو الامبراطورى لأن السوق من الأملاك العامة التابعة للدولة أى أنها ذات صفة ملكية، وكانت القيسارية مجموعة من المبانى يستغل أسفلها فى إقامة الحوانيت والمخازن والمصانع والمساجد، وأعلاها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر وكانت تعرف باسم منشئها أو ما يباع فيها. انظر، المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص٨٦ - ٩١، أحمد الطوخى، القيساريات الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية العدد ٢٨، سنة ١٩٨١م ، ص٦٧-٦٨.

(١٤٨) ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص٩٦ .

(١٤٩) الحمامات مبان قائمة بذاتها، تتصل بالطريق العام أو السوق بباب وتتألف من بضع غرف كبيرة تحيط بها غرف صغيرة، وتتوجها قباب تتخللها

-

هشام بن عبد الملك قيسارية بالفسطاط تعرف بقيسارية هشام كان يباع فيها البز (الحرير) الفسطاطى(١٥٠).

وفى أقليم الحجاز امتلك معاوية بن أبى سفيان فى مكة العديد من الدور التى قام ببناء بعضها، وبشراء البعض الآخر(١٥١)، واشترى معاوية أيضا دوراً بالمدينة(١٥٢)، كما أتخذ بسوق المدينة دارين، دار يقال لها القطران، والأخرى يقال لها دار النقصان وضرب عليهما الخراج، وبنى هشام بن عبد الملك دار كبيرة فى سوق المدينة وجعل فى أسفلها حوانيت تكرى على التجار، وفى أعلاها مساكن تكرى للسكن(١٥٣) وفى بلاد الشام كان للأمويين كثير من الممتلكات كان منها على سبيل المثال: اقامة هشام بن عبد الملك

ثقوب ينفذ منها الضوء ، ويستحم بها الناس مقابل أجر، أخذها العرب من الشعوب التى قبلهم كاليونان والرومان. انظر، دائرة المعارف الإسلامية، جـ٨ ص٧٨، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦م، ص١١٠-١١٢.

(١٥٠) ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص٩٦ .

(١٥١) الأرزقى ، المصدر السابق، جـ١، ص٢٢٤ – ٢٢٥، ٢٢٨-٢٢٩، ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٦٩، الأصفهانى، المصدر السابق، جـ٣ ص٢٧٦ .

(١٥٢) الزبيرى ، المصدر السابق ، ٤٢٦، ابن حزم ، المصدر السابق، ١٨٦، الجاحظ، المصدر السابق ، جـ٢ ص٥٨ .

(١٥٣) ابن شبه ، المصدر السابق ، جـ١ ص٢٧٠، السمهودى، المصدر السابق، جـ٢ ص٧٥٠.

فى مدينة صور(١٥٤) فندقا(١٥٥) ومستغلا(١٥٦) ، كما أستغل محمد بن مروان بن الحكم بحيرة الطريخ(١٥٧) فكان يصاد سمكا ويباع له، ثم صارت تلك البحيرة لأبنه الخليفة مروان بن محمد(١٥٨).

---

(١٥٤) صور: مدينة حصينة من ثغور المسلمين على بحر الشام، يحيط بها البحر من جميع جوانبها، وبها دار صناعة السفن. انظر، اليعقوبى، البلدان، ص٢٢٧، ياقوت، المصدر السابق، جـ٣ ص٤٣٣.

(١٥٥) الفندق أو الخان: عبارة عن بناء يؤجر لإقامة التجار الأجانب ويتألف من عدة طوابق، الدور الأرضى منها عبارة عن مخازن وحوانيت تطل على فناء داخلى فسيح تعبأ فيها البضائع أما الأدوار العليا ففيها مساكن لإقامة التجار، انظر، ياقوت، المصدر السابق، جـ٢ ص٢٤١، جـ٤، ص٢٧٧، انظر، فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية، الرياض ١٩٨٢، ص٢٤ ، ١٢٦.

(١٥٦) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص١٤٠ .

(١٥٧) الطريخ : كلمة أمينية مأخوذة من «طريخوس» Tarichos ومعناها التمليح، والطريخ نوع من السمك الصغير، قيل أنه سمك الرنجة، وقيل أنه سمك السردين، وكان يصاد من بحيرة الطريخ بأرمينيا بكميات كبيرة، وينقل إلى كثير من الأقطار كالموصل، ونواحى الجزيرة والعراق والشام، وبحيرة الطريخ يطلق عليها أيضا بحيرة خلاط، وبحيرة وان وبحيرة أرجيس، ولكن الغالب عليها بحيرة الطريخ، انظر، ياقوت، المصدر السابق، جـ٢ ص٣٨١، ابن حوقل ، المصدر السابق، ص٢٩٧، ابن الأثير، جـ٤ ص٢٨، القزوينى، المصدر السابق، ص٥٢٤، فايز أسكندر، الحياة الاقتصادية فى أرمينية، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ص٢٦ .

(١٥٨) البلاذرى ، المصدر السابق، ص٢٢٧، ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٨ .

وكانت رغبة الأمويين فى امتلاك الضياع تجعلهم يشتطون أحيانا فى تحقيق هذه الرغبة، فيقومون بالاستيلاء على ماليس لهم الحق فيه، وتروى المصادر الكثير مما يؤخذ على الأمويين فى هذا السبيل فاشترى معاوية بن أبى سفيان من أهل المدينة الكثير من الأرض والدور بعد أن ضيق عليهم العطاء بسبب موقفهم المعارض من السياسة الأموية ورفضهم بيعة يزيد بن معاوية(١٥٩). كما يروى ابن عبد الحكم(١٦٠) ما تحدث به الناس عن معاوية بن أبى سفيان عندما اقطع ابنه يزيد قرية من قرى الخراج بالفيوم فيقول : «وأقطع معاوية أيضا يزيد قرية من قرى الفيوم، فاعظم الناس ذلك وتكلموا فيه، فلما بلغ ذلك معاوية كره قاله الناس فرد تلك القرية إلى الخراج كما كانت للمسلمين».

ويروى ابن شبه وينقل عنه(١٦١) السمهودى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما أتخذ للمسلمين سوقا بالمدينة بعد هجرته إليها جعلها صدقة ونهى عن أخذ الخراج عنها، فلما تولى معاوية الخلافة أقام بها دارين، يقال لأحدهما دار القطران، والأخرى دار النقصان وضرب عليهما الخراج، فلما تولى عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة (٨٧-٩٣هـ / ٧٠٥-٧١١م) أعاد السوق إلى ما كانت عليه منذ عهد

---

(١٥٩) الزبيرى، المصدر السابق، ص١٥٤، ٣٨٩، محمد محمد شراب، المدينة فى العصر الأموى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٤م. ص٣٢٢-٣٢٥.

(١٦٠) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٧٥ .

(١٦١) ابن شبه، المصدر السابق، جـ١ ص٢٧٠-٢٧١، السمهودى، المصدر السابق ، جـ٢ ص٧٤٧ - ٧٥٠ .

الرسول (صلى الله عليه وسلم) وألغى الخراج الذى فرضه معاوية، ولكن هشام بن عبد الملك عاد وبنى بها دارا كبيرة، أدخل بها سوق المدينة كله، وأقام بها حوانيت أخذها التجار بالكراء، وعبر أهل السوق عن رفضهم وغضبهم لما فعله هشام بن عبد الملك بسوقهم، فما كادوا يسمعون خبر وفاته حتى قاموا بهدم دار هشام ونهبوا أبوابها وخشبها.

ويروى البلاذرى(١٦٢) صورة أخرى لاشتطاط هشام بن عبد الملك فى حيازه الممتلكات فيقول : «كان لرجل من ولد أبى معيط بعكا أرحاء (طواحين) ومستغلات، فاراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إياها، فأبى المعيطى ذلك عليه فنقل هشام الصناعة إلى صور واتخذ بها فندقاً ومستغلا» ومهما يكن فى هذا النص من مبالغة فى جعل سبب نقل دار صناعة السفن من صور إلى عكا لهذا السبب إلا أنه يدل دلالة واضحة على مدى رغبة هشام بن عبد الملك فى حيازة الممتلكات واستغلالها وإدراك الناس لذلك الأمر .

وكانت رغبة يزيد بن عبد الملك فى تملك الضياع فى البصرة سببا فى استيلاء والى العراق عمر بن هبيرة الفزارى (١٠٢-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٣م) على فضول مساحات الضياع دون وجه حق حتى ضج الناس من هذا الفعل وغضبوا(١٦٣).

وأقدم محمد بن مروان بن الحكم على الاستيلاء على سمك بحيرة الطريخ دون وجه حق، وكان صيد الأسماك فيها قبل عهده

---

(١٦٢) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص١٤٠ .

(١٦٣) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٤٥٠ .

مباحاً للجميع، فمنع محمد بن مروان الصيد فيها وأحتكرها لنفسه، فكان يبيع أسماكها ويأخذ أثمانها لنفسه، ثم صارت من بعده لولده مروان بن محمد، ثم قبضها العباسيون واحتكروها مثلما فعل محمد بن مروان بعد سقوط الدولة الأموية(١٦٤)ويعلق ابن الأثير على سوء هذا الفعل فيقول «ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شئ» .

امتلاك الضياع والعمران المدني :

وعلى الرغم مما أقدم عليه الأمويون فى سبيل اقتناء الضياع من بعض الأعمال غير المشروعة، والتى أخذت عليهم - كما ذكرنا - إلا أن الفائدة التى عادت على الدولة من إقبال الأمويين على تملك الضياع كانت عظيمة، ولم تقتصر هذه الفائدة على اتساع الرقعة الزراعية ونموها فقط، ولكن تعدتها إلى اتساع العمران وازدهاره بصورة كبيرة وقد أشار ابن خلدون(١٦٥) إلى أن اهتمام الدولة بالعمران وتكثيره

---

(١٦٤) ابن الأثير ، المصدر السابق، جـ٤، ص٢٨، وانظر كذلك، ابن حوقل، المصدر السابق، ص٢٩٧، أبو المحاسن، المصدر السابق، جـ١ ص١٩٠ .

(١٦٥) يقول ابن خلدون "أن الدولة والملك صورة الخليفة والعمران . وكلها مادة لها من الرعايا والأمصار وسائر الأحوال وأموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم فى الغالب من أسواقهم ومتاجرهم. واذا أفاض السلطان عطاءه وأمواله فى أهلها أنبثت فيهم ورجعت إليه ثم اليهم منه فهى ذاهبة عنهم فى الجباية والخراج عائدة عليهم فى العطاء، فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة وأصله كله العمران» . انظر، ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ص٣٧١ .

يعود بالخير على ازدهار النواحى الاقتصادية مما ينتج عنه كثرة الجباية والخراج، وقد استخدم الأمويون العلاقة بين العمران المدنى والأرض الزراعية أحسن استخدام ووظفوا كل منهما فى خدمة الآخر، فكان امتلاكهم للضياع فى منطقة معينة دافعا لاهتمامهم باعمار هذه المنطقة وإسكان الناس فيها وتحصين أسوارها، ومن أمثلة ذلك ما قام به مسلمة بن عبد الملك عندما امتلك الضياع ببلدة بالس فقد اهتم بتعميرها وإسكان الناس بها ثم عمل على تحصين المدينة ورم سورها وأحكم بنائه(١٦٦). وكذلك عندما اتخذ مروان بن محمد ضيعة له بورثان بعد أن أحيا أرضها عمر ورثان وحصنها(١٦٧). وعندما ألجأ أهل المراغة ضياعهم لمروان بن محمد قام ببناء وتعمير بلدة المراغة وتالف وكلاؤه الناس فكثروا فيها وعمروها(١٦٨).

وكما كان امتلاك الأمويين للضياع سببا فى امتداد العمران، كان اقامة الأمويين لمجتمع عمرانى جديد سببا فى اتساع ممتلكاتهم من الضياع، ذلك أنهم حرصوا على إنشاء ظهير زراعى يخدم الحاجات الغذائية لتلك المجتمعات العمرانية الجديدة التى كانوا يقومون بانشائها فى البداية، ومن ثم يقومون بمد الأنهار وحفر القنوات والآبار، واستصلاح الأرض وتعميرها .

---

(١٦٦) البلاذرى، المصدر السابق، ص١٧٨، ياقوت، المصدر السابق، جـ١ ص٣٢٨ .

(١٦٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص٤٠٤، ياقوت، المصدر السابق، جـ٥ ص٣٧١.

(١٦٨) البلاذرى، نفسه، ص٤٠٤، ياقوت نفسه، جـ٥ ص٩٢.

ومن أمثلة هذه المجتمعات العمرانية المدن الجديدة التى عمل الأمويون على اقامتها ومنها مدينة حلوان. فعندما أراد عبد العزيز بن مروان اتخاذ مدينة حلوان والإقامة بها لم يكتف بتعميرها بالدور والقصور والمساجد، ولكنه اهتم اهتماما كبيرا بوجود ظهير زراعى بها فعمل على إنشاء البساتين بها وزراعة أرضها بالكروم وغرس النخيل بها، فكان ذلك عاملا من عوامل اتساع ممتلكاته من الضياع(١٦٩).

وعندما تولى سليمان بن عبد الملك ولاية فلسطين فى عهد الوليد بن عبد الملك وأراد إنشاء مدينة صحراوية ليسكنها بدلا من مدينة لد(١٧٠)التى كانت حاضرة لفلسطين منذ الفتح الإسلامى فأنشأ مدينة الرملة(١٧١)على بعد ميل من مدينة لد، وبدأ بانشاء قصرا له،

---

(١٦٩) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٧٦، الكندى ، المصدر السابق، ص٤٩، المقريزى، المصدر السابق، جـ١ ص٢٠٩، أبو المحاسن، المصدر السابق، جـ١ ص١٧٣، ياقوت ، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٤ .

(١٧٠) لد : مدينة قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين، انظر، ابن خرداذبة، المصدر السابق ، ص٧٩، ياقوت، المصدر السابق، جـ٥ ص١٥.

(١٧١) اتخذت مدينة الرملة اسمها من أن مكانها كان قبل انشاء سليمان ابن عبد الملك لها كان رمالا، وهى رابعة المدن الإسلامية التى أنشأها المسلمون بعد البصرة والكوفة والفسطاط، وأنشأها سليمان بن عبد الملك ليحفظ الناس ذكراه كذكرهم لأبيه فى بناء قبة الصخرة وذكرهم لأخيه الوليد ببناء مسجد دمشق. انظر البلاذرى، المصدر السابق، ص١٧٠، الجهشيارى، المصدر السابق، ص٤٨-٤٩، اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، جـ٢ ص٢٩٣، المسعودى ، التنبيه والاشراف، ص٢٢٧، ابن خرداذبة، المصدر السابق ص٧٨-٧٩.

ثم دار تعرف بدار الصاغين ثم أختط المسجد وبناه للناس فى البناء، فبنوا فيها، ولكى يعمل على إعمار مدينة الرملة احتفر لأهلها قناة تدعى بردة، وحفر آبار كثيرة وولى النفقة عليها كاتبا له، وظلت النفقة على آبار الرملة وقناتها جارية طوال العصر الأموى، وقد نشأ عن إعمار الرملة وحفر قناتها وآبارها قيام ظهير زراعى حول هذه المدينة الشهيرة بزراعة الفواكه(١٧٢)، وظلت مدينة الرملة مقرا لسليمان بن عبد الملك بعد توليته الخلافة(١٧٣). وكانت عاملا من عوامل اتساع ممتلكاته من الضياع.

وعندما أراد هشام بن عبد الملك إنشاء الرصافة التى تعرف برصافة هشام(١٧٤) على طرف البرية ليسكنها صيفا عمرها بالقصور الفخمة والمساكن والأسواق وأحكم حولها الأسوار(١٧٥) ، ثم عمل على تنمية الرقعة الزراعية حولها ، ولما لم يكن لها نهر ولا عين

---

(١٧٢) انظر البلاذرى ، المصدر السابق، ص١٧٠-١٧١، الجهشيارى، المصدر السابق، ص٤٨-٤٩، اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى، جـ٢ ، ص٢٩٣، المسعودى، التنبيه والاشراف، ص٣٢٧، ياقوت، المصدر السابق ، جـ٣ ص٦٩ .

(١٧٣) التنوخى ، المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق يوسف البستانى، دار العرب، القاهرة ، ١٩٨٥م، ص١٩ .

(١٧٤) تقع رصافة هشام غربى مدينة الرقة العراقية بينهما أربعة فراسخ فى طرف البرية ، انظر ، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص٩٨، ياقوت المصدر السابق ، جـ٤ ص٤٧، القزوينى، المصدر السابق، ص١٩٨ .

(١٧٥) الأصفهانى ، المصدر السابق، جـ٤ ص٤٢٢، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ٣ ص٤٧ .

جارية بنى بها الصهاريج، ثم أنشأ فى الطريق إليها رقة واسط وبنى بها قصرين(١٧٦) له ثم حفر نهرى الهنى والمرى من نهر الفرات واتخذ ضيعته المشهورة التى عرفت أيضا بالهنى والمرى، والتى كانت مكانا مفضلا له ، ونتج عن ذلك أن نمت المزارع وأقيمت القرى العامرة حولها(١٧٧). واتخذ هشام بن عبد الملك كذلك القصور والمنازل فى القطيفة(١٧٨) وهى مدينة على طرف البادية بالشام ، وقام بتعميرها(١٧٩).

وكانت القصور الصحراوية(١٨٠) التى أغرم الأمويون بانشائها فى بلاد الشام عاملا من أهم عوامل امتداد الرقعة الزراعية ونمو

---

(١٧٦) ياقوت، المصدر السابق ، جـ٢ ص٦٠ .

(١٧٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٢١٣ ، ياقوت ، المصدر السابق، جـ٥ ص٤١٩.

(١٧٨) القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البرية من ناحية حمص، انظر، ياقوت ، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٧٨ .

(١٧٩) اليعقوبى ، البلدان ، ص٣٢٥، ياقوت ، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٧٨.

(١٨٠) عدد سوفاجية (Sauvaget) من هذه القصور حوالى ٣٠ قصرا كان أهمها قصر هشام بن عبد الملك أو قصر الحير الغربى، وقصر الحير الشرقى، قصر الحلابات، قصر المشتى، قصر أم الوليد، قصر الطوبة، قصر معان، قصير عمرة، انظر .

Sauvaget: «Chateaus umayyades de syrie.

Contribution a L'etude de la colonisation Arabe

Aux L'er et II'e siecles de L'Hegire» Revue des Entudes

Islamiques, XXXV, (1967). pp 35-40.

ممتلكات الأمويين من الضياع ، وعلى الرغم مما ذكر من آراء عديدة حول أسباب انشاء الأمويين لهذه القصور والتى كان منها حنين الأمويين للصحراء ورغبتهم فى تنشئة أبنائهم فى بيئة عربية خالصة، وهروبهم من الأوبئة والحشرات الموجودة بالمدن وممارسة الصيد والقنص، وتقويم السنتهم باللغة العربية السليمة(١٨١) إلا أن الأبحاث الأثرية الحديثة التى قامت على أماكن هذه القصور أثبتت أن من أهم الأسباب التى اقيمت من أجلها كثير من هذه القصور هى اتخاذ الضياع للاستثمار الزراعى فالقصر لم يكن بناء معزولا وسط الصحراء ، ولكنه كان قصرا تحيط به الأرض الزراعية ، وينتشر حوله عدد من البيوت ومسجد وحمام ، ويحتوى هذا التجمع العمرانى إلى جانب ذلك على مخازن للحبوب، ومعاصر وطواحين، وكانت مشروعات الرى كالقنوات والسدود وغيرها تقام لخدمة تلك الأرض الزراعية ، التى تنمو ليعمر على جنباتها قصورا وقرى ومزارع ، وكل ذلك يثبت أن تلك القصور التى أقامها الأمويون لم تكن اقامتها من أجل الأسباب التى سبق ذكرها فقط، ولكنها أقيمت أيضا لتكون استثمارا زراعيا ذو عائد إقتصادى(١٨٢).

إدارة الضياع :

كانت ضياع بنى أمية تدر عائدا كبيرا عليهم، فالأمويون حرصوا على توفير المقومات اللازمة لنجاح الزراعة بها ، ـ كما

---

(١٨١) انظر ، ياقوت ، المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢م، ص٢٤١-٢٤٣، دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٣ مادة «بادية» .

(182) _ Sauvaget., op, cit., pp. 20 _ 22.

ذكرنا - اختاروا ضياعهم فى الأماكن التى تتميز أرضها بالخصوبة بها، وعملوا على توصيل مياه الرى إليها ، وتوفير الأيدى العاملة بها، هذا بالاضافة إلى تواجد المجتمعات العمرانية التى يستهلك سكانها المنتجات الزراعية لتلك الضياع(١٨٣)، ويزيد من هذا العائد أن الأمويين كانوا يدفعون عن ضياعهم للدولة ضرائب خفيفة إذا قورنت بغيرها من الأرض الزراعية التى يمتكلها غيرهم(١٨٤). وعلى الرغم من أن هذه الضياع كان بعضها قد تكون فى الأصل من أراضى الخراج وبعضها من أراضى العشر ، إلا أنه من الواضح أن هاتين الفئتين لم يفرق بينها بعد أن غدت تلك الضياع ملكا للأمويين فدفعوا عن ضياعهم العشر(١٨٥)، وحتى هذا العشر لم يكن يجبى كاملا ولكنه كان يجبى مخففا ، وكثيرا ما كان يترك ولا يطالب به أعواما ، ولم يكن لجباة الخراج الحق فى جباية الضريبة من تلك الضياع ، فكان صاحبها يدفع خراجها مباشرة للديوان وفى هذا تفسير هروب بعض الملاك من قسوة الجباة إلى إلجاء ضياعهم باسم أمراء أمويين لاتكون لهؤلاء الجباة سلطة دخول ضياعهم وجباية الخراج منها ،

---

(١٨٣) كان هشام بن عبد الملك يحرص على بيع محصولات ضياعه قبل أن يبيع الآخرين محاصيلهم حتى يضمن بيعها جميعها بسعر جيد، فكان هشام يكتب إلى والى العراق خالد بن عبد الله القسرى «لاتبيعن من الغلات شيئا حتى تباع غلات أمير المؤمنين، فبلغت كيلتها دارهم» . انظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٤ ص٢٣٦ .

(١٨٤) انظر، جرجى زيدان ، المرجع السابق ، جـ٢ ص١٢٧-١٢٨ .

(١٨٥) السيد الباز العرينى ، الإقطاع فى الشرق الأوسط، ص١٢٠-١٢١.

مع ما فى هذا الالجاء من فقدان لحق ملكية ضياعهم مع مرور الزمن(١٨٦).

لم تشر المصادر المتداولة التى بين أيدينا إلى قاعدة ثابتة سار عليها الأمويون فى إدارة ضياعهم، ولكن من الثابت أن الخليفة أو الأمير كان يوكل من يقوم بإدارة ضياعه نيابة عنه فى الأقليم الذى يمتلك فيه الضياع، وفى بعض الأحيان كان صاحب الخراج فى الأقليم يوكل إليه هذا العمل ، فكان لمعاوية بن أبى سفيان وكيلا يقوم بأمر ضياعه فى المدينة المنورة، اسمه عبد الرحمن بن أبى أحمد بن جحش(١٨٧)، ولما آلت هذه الضياع إلى يزيد ابن معاوية كان وكيله عليها يسمى ابن مينا(١٨٨)، وقام بأمر ضياع معاوية فى فلسطين صاحب الخراج سليمان المشجعى(١٨٩)، وكان عبد الرحمن بن دارج صاحب الخراج وأخوه عبد الله ينظران فى أمر ضياع معاوية فى العراق(١٩٠)، وتقلد أمر ضياع هشام بن عبد الملك فى الأردن اسحاق

---

(١٨٦) انظر ، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٢٤١، الاصطخرى، المصدر السابق، ص٩٦، الخوارزمى، المصدر السابق، ص٤١، جرجى زيدان، المرجع السابق، جـ٢ ص١٣٠، السيد الباز العرينى، الإقطاع فى الشرق الأوسط، ص١٢١-١٢٥، ضياء الدين الريس، المرجع السابق ، ص٢٦٨.

(١٨٧) السمهودى ، المصدر السابق ، جـ٤ ص١٢٧٦ .

(١٨٨) اليعقوبى ، المصدر السابق ، جـ٤ ص٢٥٠ ، السمهودى ، المصدر السابق ، جـ١ ص١٢٦ .

(١٨٩) الجهشيارى ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(١٩٠) الجهشيارى ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

ابن قبيصة بن ذؤيب واسمه مكتوب على قصر من قصور الضياع بالفسيفاء «مما جرى على يدى اسحاق بن قبيصة»(١٩١)، وكذلك كان يتقلد لهشام بن عبد الملك ضياعه بنهر الرومان فروج أبو المثنى، ثم تقلدها حسان النبطى(١٩٢)، وكان لمروان بن محمد وكلاء يديرون ضياعه فى المراغة(١٩٣).

ومن المؤكد أن هؤلاء الوكلاء كانوا ذوى الدراية والخبرة بالأرض الزراعية حتى يستطيعوا الاضطلاع بمهمة اختيار الجيد من الضياع، فكان الخليفة والأمير الأموى إذا ما أراد شراء الضياع يحدد أحيانا لوكيله مواصفات الضياع التى يريد شراءها ، فطلب معاوية من وكيله بفلسطين أن يشترى له الضياع على أن تكون بعيدة عن المناطق المجدبة وأن يختارها فى الأماكن التى يسهل ريها بمياه المطر وحقق الوكيل رغبته فاشترى له ضياعا بالبطنان حيث ينزل بها ماء المطر فيكرم نباتها(١٩٤). وفى أحيان أخرى كان الوكيل يقوم باختيار عدة ضياع ويعرض كل منها على موكله بمواصفاتها ويترك له مهمة الاختيار، فعندما أراد معاوية شراء الضياع فى

---

(١٩١) الجهشيارى ، المصدر السابق ، ص٦٠ .

(١٩٢) الجهشيارى ، نفسه ، ص٦١ ، الطبرى، المصدر السابق ، جـ٧ ص١٤٢.

(١٩٣) البلاذرى ، المصدر السابق، ص٤٠٤ ، ياقوت، المصدر السابق، جـ٥ ص٩٢.

(١٩٤) الجهشيارى ، المصدر السابق ، ص٢٦ ، ياقوت ، المصدر السابق، جـ١ ص٤٤٧-٤٤٨.

المدينة المنورة طلب ذلك من وكيله عبد الرحمن بن أبى أحمد بن جحش فعرض عليه عدة أودية يختار منها فاختار الغابة لكثرة شجرها ومائها(١٩٥).

وكان الوكيل أيضا يقوم بمهمة استصلاح الأرض واستخراج الضياع منها، فقام عبد الله بن دراج باستصلاح الضياع لمعاوية فى العراق(١٩٦) وقام حسان النبطى باستصلاح أراض واسعة من البطيحة لكل من الخليفة الوليد وهشام بن عبد الملك(١٩٧).

وكان على الوكيل أيضا الاهتمام بأمر المزارعين الذين يلجئون ضياعهم لموكله فيعمل على الاهتمام بامرهم وترغيبهم فى الإقامة فى المكان حتى يكثر العمران فيه، فيقول البلاذرى(١٩٨) عن وكلاء مروان بن محمد على ضياعه فى المراغة: «وكان أهلها ألجاوها إلى مروان فابتناها، وتالف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها».

كان الوكيل يقوم أيضا بمهمة تسلم حاصل الضياع لموكله وكان هذا الحاصل يؤخذ من هذه الضياع إما عينا أو نقدا، فإذا ما كان عينا

---

(١٩٥) السمهودى ، المصدر السابق ، جـ٤ ص١٢٧٦ .

(١٩٦) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٢٥٨، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص٢٤٠، الماوردى ، المصدر السابق ص١٩.

(١٩٧) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٢٥٩ ، الماوردى، المصدر السابق، ص١٧٩.

(١٩٨) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٤٠٤ .

كان غالبا ما يؤخذ بطريق الضمان أو القبالة(١٩٩)وذلك بأن يقوم المتقبل بدفع مبلغ معين من المال مقابل أن يقوم هو بجباية الخراج من المزارعين فى الضياع التى تقبلها فيستفيد صاحب الضيعة تعجيل المال ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله(٢٠٠) وكان الوكيل أحيانا يقوم هو نفسه بضمان الضياع، فكان فروخ أبو المثنى يتقبل ضياع هشام بن عبد الملك، ثم زاد عليه حسان النبطى مبلغ ألف ألف درهم فاعطاها هشام لحسان النبطى(٢٠١) ، وفى حالة ما كان يؤخذ عينا فكان على الوكيل مهمة تسلم الحاصل العينى وارساله لموكله، فكان ابن مينا المتوكل على أمر ضياع معاوية بن أبى سفيان، فى المدينة يتسلم من المزارعين كل سنة حاصل الضياع من التمر والحنطة(٢٠٢) . كانت ضياع مسلمة بن عبد الملك فى بالس يحمل إليه ثلث غلاتها كل عام(٢٠٣).

---

(١٩٩) القبالة ، بالفتح الكفالة وهى فى الأصل مصدر قبل إذا كفل، وقبل بالضم إذا صار قبيلا أى كفيلا، وتقبل به تكفل به، والقبيل: الكفيل، انظر، ابن منظور ، المصدر السابق ، جـ٥ ص٣٥٢١.

(٢٠٠) وكان الفقهاء لايقرون نظام القبالة من الناحية الشرعية، وذلك لأن المتقبل يعمل دائما على ظلم الزراع وعسفهم حتى يحصل على أكثر مما دفع للدولة أو لصاحب الضياع، انظر، ابو يوسف ، المصدر السابق ، ص١٠٥-١٠٦، الماوردى، المصدر السابق، ص١٧٦، ابن منظور ، المصدر السابق، جـ٥ ص٣٥٢١. ضياء الدين الريس، المرجع السابق ، ص٢٦٩ .

(٢٠١) الجهشيارى ، المصدر السابق ، ص٦١ ، الطبرى ، المصدر السابق، جـ٧ ص١٤٢-١٤٣، ابن الأثير ، المصدر السابق، جـ٤ ص٢٢٥.

(٢٠٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ص٢٢٤، ٢٥٠، السمهودى ، المصدر السابق ، جـ١ ص١٢٧-١٢٨.

(٢٠٢) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص١٧٨ .

وكان لبعض هؤلاء الوكلاء سلطات كبيرة حتى يتسنى لهم جمع الخراج من الضياع فتروى المصادر(٢٠٤) أن ابن مينا المتوكل لضياع معاوية في المدينة كان يصطحب الجند معه حتى لايمتنع الزراع عن تقديم ما هو مقرر عليهم من المحصول. بل أن هذه المصادر تذهب إلى أن امتناع بعض أهل المدينة المستأجرين لضياع معاوية عن دفع المحصول المقرر عليهم ومناوشتهم لابن مينا كان سببا لغضب يزيد بن معاوية على أهل المدينة وثورته عليهم وارساله جيشا من الشام لمحاربتهم(٢٠٥) في موقعة الحرة فى سنة (٦٣هـ/٦٨٢م)(٢٠٦).

وتروى المصادر أيضا مثالا آخر لما وصل إليه وكلاء الضياع من قوة فتذكر أن حسان النبطى المتوكل على ضياع هشام بن عبد الملك فى العراق استطاع أن يوغر صدر هشام بن عبد الملك على

---

(٢٠٤) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ص٢٥٠، السمهودى ، المصدر السابق ، جـ١ ص١٢٨.

(٢٠٥) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ص٢٥٠، السمهودى ، المصدر السابق ، جـ١ ص١٢٨.

(٢٠٦) ثار أهل المدينة وخلعوا الخليفة الأموى يزيد بن معاوية لسوء سيرته ، فارسل لهم جيشاً كبيراً بقيادة مسلم بن عقبة المرى فى سنة (٦٣هـ/٦٨٢م) والتقى مع أهل المدينة فى معركة غير متكافئة ، هزم فيها أهل المدينة وقتل منهم عددا كبيرا واستباح الجيش الأموى المدينة وأعمل فى أهلها القتل، انظر، اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، جـ٢ ص٢٥٠-٢٥٢، الأصفهانى، المصدر السابق، جـ١ ص٣٥-٣٧، الطبرى، المصدر السابق، جـ٥ ص٤٨٢، ابن طباطبا ، المصدر السابق، ص١١٥- ١١٦، السمهودى، المصدر السابق، جـ١ ص١٢٦-١٢١، ابن قتيبة ، المصدر السابق، جـ١ ص١٧٦ - ١٨٨.

الوالى خالد بن عبد الله القسرى وكان ذلك سببا فى عزل خالد ومصادرته وذلك بسبب الخلاف الذى كان بين خالد بن عبد الله القسرى وحسان النبطى(٢٠٧).

---

(٢٠٧) يروى الطبرى أن خالد بن عبد الله القسرى كان يضر بحسان، «فيقول له : حسان لاتفسدنى وأنا صنيعك فأبى إلا الاضرار به ، فلما قدم عليه، بثق البثوق على الضياع ثم خرج إلى هشام فقال: إن خالدا بثق على ضياعك، فوجه هشام رجلا، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره ، فقال حسان لخادم من خدم هشام: إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام فلك عندى ألف دينار، قال : فجعل لى الألف وأقول ما شئت قال : فجعلها له ، وقال له : بك صبيا من صبيان هشام، فإذا بكى فقل له: اسكت: والله لكأنك ابن خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشرة ألف ألف، فسمعها هشام فأغضى عليها، ثم دخل حسان بعد ذلك، فقال له هشام: ادن منى، فدنا منه، فقال : كم غلة خالد؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف قال: فكيف لم تخبرنى بهذا قال : وهل سألتنى ؟ فوقرت فى نفس هشام فأزمع على عزله . انظر، الطبرى ، المصدر السابق ، جـ٧، ص١٤٢-١٤٣.

خاتمـــــة

بينت هذه الدراسة أن الأراضى الزراعية التى وجدت فى الأقطار التى فتحها المسلمون أصبحت بعد الفتح أرضا خراجية يدفع عنها أصحابها ضريبة الخراج وأرضا عشرية يدفع عنها أصحبها العشر، وأرض الصوافى وهى الأرض التى آلت ملكيتها للدولة لأنها وجدت بدون ملاك وعلى الرغم من اختلاف موقف الخلفاء من هذه الأرض فلم يقطعها الخليفة عمر بن الخطاب واستغلها لصالح بيت المال فى حين أقطعها الخليفة عثمان بن عفان وكانت منها صلاته وعطاياه إلا أنها ظلت ملكا للدولة فى عهدهم ولم يحز الخلفاء الراشدين منها ضياعا امتلكوها لأنفسهم، ولما منح منها الخليفة عثمان إقطاعات كان يمنحها لمن يدفع عنها حق الفىء وكانت بذلك إقطاع إجارة لاإقطاع تمليك. ولكن وضع هذه الأرض تغير فى عهد الأمويين.

كما بينت هذه الدراسة أن الأمويين عملوا منذ بداية أمرهم على تنمية ثرواتهم الخاصة حتى يتسنى لهم القيام بما يتطلبه منصب الخلافة من نفقات وكان أهم هذه الثروات هى امتلاك الضياع التى كان للأمويين وسائلهم فى امتلاكها. وكانت أهم هذه الوسائل الاقطاعات التى كان يحرص الخليفة الأموى القائم فى الحكم على منحها لأهل بيته من الأمويين فى هذا السبيل أرض الصوافى، وعلى الرغم من أن القاعدة الفقهية تنص على عدم تملك الاقطاع من أرض الصوافى ملكية

دائمة لايكون لصاحبه إلا حق النفعة فقط، إلا أن الأمويين حازوا من أرض الصوافى كثيرا من الاقطاعات منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان واستمرت حيازتهم لها فى عهد الأمويين ورغم الموقف الذى أبداه الخليفة عمر بن عبد العزيز واعلانه عدم شرعية هذه الاقطاعات لأنها فى الأصل ملكا للأمة الإسلامية وقيامه برد اقطاعاته إلا أن الأمويين تملكوها وتوارثوها عن بعضهم البعض حتى نهاية دولتهم.

وتبين لنا أيضا أن إحياء الأرض الموات كان من الوسائل التى أضافت لحوزة الأمويين ضياعا شاسعة، فى هذا السبيل بجهود عظيمة سواء ما كان منها فى مجال تجفيف أرض البطائح فى العراق واستصلاحها وزراعتها ، أو فى مجال الاهتمام بمشروعات الرى من حفر الأنهار والآبار وإقامة السدود والقناطر حتى تصل المياه للأرض البور، واستصلحوا من هذا السبيل ضياعا عديدة.

ومن الوسائل التى لجأ إليها الأمويون فى تملك الضياع وبينتها هذه الدراسة شراء الأرض الزراعية التى حرص الأمويون على أن تكون من الأراضى الخصبة ذات الموقع الممتاز، وكان إقبال الأمويين على شراء الأرض جعلهم يسمحون للمسلمين بشراء الأرض الخراجية مما نتتج عنه تحول كثير من الأرض العشرية إلى أرض خراجية، مما أفقد الدولة جزءاً كبيراً من دخلها.

وكان نظام الإلجاء الذى عاد للظهور فى العصر الأموى من الوسائل التى نمت عن طريقها ممتلكات الأمويين من الضياع، وكانت

الزيادة فى الضرائب وقسوة الجباة وتشددهم من الأسباب التى جعلت صغار الملاك يتلمسون الحماية لدى الأمراء الأمويين فيطلبون منهم أن تسجل ضياعهم باسماء الأمراء الأمويين فى ديوان الخراج. فيمتنع الجباة عن التعرض لهذه الضياع وجبابة خراجها إلا من خلال المالك الجديد من الأمويين وبمرور الزمن كان هؤلاء الملاك الصغار يفقدون حقهم فى ضياعهم التى تتحول إلى ملكية الأمويين لتكون من وسائل زيادة ضياعهم.

وأثبتت هذه الدراسة أنه من بين الوسائل التى نمت عن طريقها الضياع الأموية كانت المصادرات التى أوقعها الأمويون على الخارجين عليهم أو على من يريدون عقابهم واستولى الأمويون على ضياع عديدة من هذا المجال كان هؤلاء كونوها لأنفسهم.

وكشفت هذه الدراسة أن الضياع الأموية كانت تضم إلى جانب الأرض الزراعية ما يقام على هذه الأرض من مبان للاستغلال وامتلك الأمويون منها: الدور والقيساريات والحوانيت والحمامات والطواحين، وصيد البحيرات.

وقد أوضحت هذه الدراسة أنه على الرغم من اقدام الأمويين فى سبيل امتلاك الضياع على بعض الأعمال غير المشروعة كالاستيلاء على ما ليس لهم حق فيه من أراض وأسواق وبحيرات إلا أن الفائدة التى عادت على الدولة من وراء تملكهم الضياع كانت عظيمة ولم تقتصر هذه الفائدة على اتساع الرقعة الزراعية ونموها واتساعها ولكن تعدتها إلى اتساع العمران المدنى وازدهاره بصورة لم يسبق لها

مثيل، فكان امتلاكهم للضياع فى منطقة معينة دافعا لاهتمامهم بإعمار هذه المنطقة وتحصين أسوارها وتآلف الناس وترغيبهم فى سكناها، وفى الوقت ذاته كان حب الأمويين للعمران ورغبتهم فى بناء القصور وانشاء المدن الصحراوية الجديدة دافعا لهم على الاهتمام باستصلاح الأرض الزراعية فيها لإيجاد ظهير زراعى يكفى الحاجات الغذائية لهذا المجتمع العمرانى الجديد.

وأخيرا فان هذه الدرسة قد بينت أن الأمويين قد اسندوا إدارة ممتلكاتهم من الضياع إلى وكلاء كانوا من ذوى الخبرة فى مجال الأرض الزراعية، ومنحهم الأمويون سلطات حتى يستطعوا القيام بمهامهم التى كان منها حيازة الضياع لموكليهم سواء عن طريق استصلاح الأرض أو شراء الجيد منها، وتسلم حاصل الضياع سواء كان عيناً أو نقداً وكان على هؤلاء الوكلاء أيضا ترغيب الفلاحين وتالفهم لاعمار المناطق التى تقع بها الضياع.

قائمة بأسماء الخلفاء الأمويين

الخليفة	هجرية	ميلادية
معاوية بن أبى سفيان	٤١ – ٦٠	٦٦١ – ٦٧٩
يزيد بن معاوية بن أبى سفيان	٦٠ – ٦٤	٦٧٩ – ٦٨٣
معاوية بن يزيد بن معاوية	٦٤	٦٨٣
مروان بن الحكم	٦٤ – ٦٥	٦٨٣ – ٦٨٤
عبد الملك بن مروان	٦٥ – ٨٦	٦٨٤ – ٧٠٥
الوليد بن عبد الملك	٨٦ – ٩٦	٧٠٥ – ٧١٤
سليمان بن عبد الملك	٩٦ – ٩٩	٧١٤ – ٧١٧
عمر بن عبد العزيز بن مروان	٩٩ – ١٠١	٧١٧ – ٧١٩
يزيد بن عبد الملك	١٠١ – ١٠٥	٧١٩ – ٧٢٣
هشام بن عبد الملك	١٠٥ – ١٢٥	٧٢٣ – ٧٤٢
الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١٢٥ – ١٢٦	٧٤٢ – ٧٤٣
يزيد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٣
ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٧	٧٤٤
مروان بن محمد بن مروان بن الحكم	١٢٧ – ١٣٢	٧٤٤ – ٧٤٩

قائمة باسماء بعض وكلاء الضياع

الخليفة	الوكيل	مكان الضياع
معاوية بن أبي سفيان	عبد الرحمن بن أبى أحمد بن جحش	المدينة المنورة
	سليمان بن المشجعى	فلسطين
	عبد الرحمن وعبيد الله بن دراج	العراق
يزيد بن معاوية	ابن مينا	المدينة المنورة
هشام بن عبد الملك	اسحاق بن قبيصة بن ذؤيب	الأردن
	فروخ أبو المثني	نهر الرومان
	حسان النبطى	نهر الرومان

المصادر والمراجع

أولا المصادر :

١ - ابـن الأثيـر : أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد عبد الواحد الشيبانى (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
الكامل فى التاريخ
دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٨٠م

٢ - الأزرقـى : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٢٤هـ / ٨٥٨م)
أخبار مكـة
مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، ١٩٧٨م .

٣ - الاصـطخرى : ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى (توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى)
المسالك والممالك
تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٤ - الأصفهـانى : أبو الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)
الأغانى
دار الثقافة، بيروت ، ١٩٨٣م.

٥ - البــــلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر
(ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
فتــوح البلــدان
نشر صلاح الدين المنجد ، مكتبة
النهضة المصرية،القاهرة١٩٥٦ -١٩٥٨م.

٦ - التنــوخى : أبو على الحسن بن على
(ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)
المستجاد من فعلات الأجواد
تحقيق يوسف البستانى ، دار العرب،
القاهرة ، ١٩٨٥م .

٧ - الجاحــظ : أبو عثمان عمرو بن بحر
(ت ٢٢٥هـ / ٨٦٩م)
البخــلاء
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٨ - ـــــــ : البيـــان والتبييـن
تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة الخانجى ، القاهرة .

٩ - الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس
الجهشيارى (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)
الوزراء والكتاب
تحقيق مصطفى السقا وآخرون،
مطبعة الحلبى .

١٠ - ابـن حـــزم : أبو محمد على بن محمد بن سعيد بن
حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
جمهرة أنساب العرب
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م.

١١ - الحنبـلى : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن
رجب (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)
الاستخراج لأحكام الخراج
صححه السيد عبد الله الصديق، ضمن
موسوعة الخراج، دارالمعرفة، بيروت.

١٢ - ابن حوقـــل : أبو القاسم بن حوقل النصيبى (توفى
فى أواخر القرن الرابع الهجرى)
صـــورة الأرض
دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م .

١٣ - ابـن خـرداذبـة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
(ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م)
المسالك والممالك
ليدن ، بريل ١٨٨٩م .

١٤ - ابن خلـــدون : عبد الرحمن بن محمد
(ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
مقدمة ابن خلدون
مؤسسة الأعلمى ، بيروت

١٥ - الخـــوارزمى : أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف
(ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)
مفاتيح العلوم
مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة
١٩٨١م .

١٦ - ابـن رســتة : أبو على أحمد بن عمر
(ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م)
الأعـــلاق النفيسة
ليدن ، بريل ، ١٨٨٢م .

١٧ - الزبيـــرى : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن
المصعب (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)
نسـب قريـش
نشر إ. ليفى بروفنسال، دار المعارف،
القاهــرة .

١٨ - الســمهودى : نور الدين على بن أحمد
(ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد،
دار إحياء التراث العربى، بيروت.

١٩ - ابـن شـــبه : أبو زيد عمر بن شبه النميرى البصرى
(ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م)

تاريخ المدينة المنورة
تحقيق فهيم محمد شلتوت ، دار
الاصفهانى للطباعة ، جدة ، ١٩٧٩م.

٢٠ - الصـــــابئ : أبو الحسن الهلال بن المحسن
(ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م)
تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء
تحقيق عبد الستار فرج ، دار احياء
الكتب العربية ، ١٩٥٨م .

٢١ - الطبـــرى : أبو جعفر محمد بن جرير
(ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
تاريخ الرسل والملوك
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،
دار المعارف ، القاهرة .

٢٢ - ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
(ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م)
فتوح مصر وأخبارها
تحقيق محمد صبيح ، مؤسسة التعاون
للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م .

٢٣ - أبو عبيـــد : أبو عبيد القاسم بن سلام
(ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)
الأمـــوال

تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٢٤ - ابن عســاكر : أبو القاسم على بن الحسن هبة الشافعى
(ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م)
تهذيب تاريخ دمشق الكبير
تهذيب عبد القادر بدران، دار السيرة،
بيـــــروت

٢٥ - الفيروزبادى : مجد الدين بن أبى طاهر محمد بن
يعقـوب (ت ٨٢٣هـ / ١٤١٥م)
المغانم المطابة فى عالم طابة
تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار
اليمامة ، الرياض ، ١٩٦٩م .

٢٦ - قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن حعفر الكاتب
البغدادى (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م)
نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة
ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن
خرداذبة ، ليدن ، بريل ، ١٨٨٩م .

٢٧ - ابن قتيبــة : محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينـــورى (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
الامامــة والسـياســة
تحقيق طه الزينى ، مؤسسة الحلبى ،
القاهرة .

٢ - القزوينـــى : زكريا بن محمد بن محمود
(ت٦٨٢هـ / ١٢٨٤م)
آثار البلاد وأخبار العباد
دار صادر ، بيروت .

٢ - القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت٨٢٣هـ/١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الانشا
القاهرة ، ١٩٦٣م .

٣٠ - ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر
(ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
البدايـــة والنهايـــة
دار الفكر العربى ، القاهرة .

٣١ - الكنـــدى : أبو عمر بن محمد بن يوسف
(ت٣٥٠هـ / ٩٦١م)
كتابة الولاة وكتاب القضاة
تصحيح رفن كست ، مطبعة الآباء
اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م .

٣٢ - المـــاوردى : أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى
(ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
الأحكام السلطانية والولايات الدينية
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م.

٢٣ - المبـــرد : أبو العباس محمد بن يزيد
(ت٢٨٥هـ / ٨٩٨م)

الكامل فى اللغة والأدب
مكتبة المعارف ، بيروت .

٣٤ - أبو المحاسن : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى
(ت٨٧٤هـ / ١٤٨٩م)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
القاهرة ، ١٩٦٣م .

٣٥ - المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين على
(ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد
المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣٦ - ــــــــ : التنبيه والاشراف
دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١م.

٣٧ - المقريزى : تقى الدين أبى العباس أحمد بن على
(ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
المواعظ والاعتبار بذكرالخطط والآثار
دار صادر ، بيروت .

٣٨ - ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصارى
(ت٧١١هـ / ١٣١١م)

لســـان العـــرب
دار المعارف ، القاهرة .

٣٩ - يحيى بن آدم : يحيى بن آدم القرشى
(ت٢٠٣هـ / ٨١٨م)
كتـــاب الخـــراج
تصحيح أحمد محمد شاكر، ضمن
موسوعة الخراج، دار المعرفة ،
بيـــروت .

٠ - اليعقـــوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن
وهب (ت٢٨٤هـ / ٨٩٧م)
تاريـــخ اليعقـــوبى
دار بيروت للطباعة ، بيروت،١٩٨٠م.

٤١ - ـــــــــ : البلـــــدان
ملحق بكتاب الاعـلاق النفيسة لابـن
رستة ، ليدن ، بريل ، ١٨٩٢م .

٤٢ - أبـــو يوســـف : يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)
كتـــاب الخـــراج
ضمن موسوعة الخراج ، دار المعرفة،
بيـــروت .

ثانيا : المراجع والمصادر :

٤٣ - بـــل : هـ . أيدرس

مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العــــربى

ترجمه وأضاف إليه عبد اللطيف أحمد على - دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٤٤ - جرجـــى زيـــدان :

تاريخ التمدن الإسلامى

القاهرة ، ١٩٠٢م .

٤٥ - السيد الباز العرينى :

مصر البيزنطيـــة

دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦١م .

٤٦ - ـــــــــــ : الدولـــة البيزنطيـــة

دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٦٠م.

٤٧ - سيدة اسماعيل كاشف :

مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٤٨ - ضياء الدين الريس :

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية

القاهرة ، ١٩٧٧م .

٤٩ - فايز اسكندر :
الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح الإسلامى
دار الفكر الجامعى ، الأسكندرية .

٥٠ - فريد شافعى :
العمارة الإسلامية
الرياض ، ١٩٨٢م .

٥١ - فلهوزن : يوليوس
تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية
ترجمة محمد عبد الهادى وحسين مؤنس ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٥٢ - عبد المنعم ماجد :
تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى
مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦م .

٥٣ - ______ : التاريخ السياسى للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين
مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م .

٥٤ - محمد حسن شراب :
المدينة فى العصر الأموى
مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ١٩٨٤م .

ثالثا : الدوريات ودوائر المعارف :

٥٥ - أحمد الطوخى :

القيساريات الإســلامية

مجلة كلية الآداب ، جامعة الأسكندرية ،

العدد ٢١ ، سنة ١٩٨١م .

٥٦ - السيد الباز العرينى :

الاقطاع فى الشرق الأوسط منذ القرن

السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى

حوليات كلية آداب عين شمس ، المجلد

الرابع ، يناير ، ١٩٥٧م .

٥٧ - دائرة المعارف الإسلامية المترجمة .

58 _ The encyclopaedia of Islam, New edition
London, 1960.

59 _ Fateh, Mostafa Khan: «Taxation in Persia», Bulletin of the School of Oriental Studies, London Institution, VoL. IV, 1962 _ 1928.

60 _ Sauvaget : « Chateaus umayyades de syrie Contribution a L'etude de la Colonisation Arabe Aux I'er et II'e Siecles de L' Hegire» Revue des Etudes Islamiques, XXXV, 1967.

محتويات الكتاب

الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩١/٩٩٨٦
I.S.B.N.
977-00-2744-8